المقالات المنشورة

د/ محمد بن ناصر الشثري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المقالات المنشورة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقالات المنشورة

د. محمد بن ناصر الشثري

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ح محمد بن ناصر الشثري ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشثري ، محمد بن ناصر

المقالات المنشورة/ محمد بن ناصر الشثري – الرياض ، ١٤٢٥هـ

١١٦ ص ؛ ١٧ X ٢٤ سم

ردمك : ٤ – ٢٤٠ – ٤٦ – ٩٩٦٠

١– المقالات العربية – السعودية أ– العنوان

ديوي ٠٨١ ١٤٢٥/٤١٤٠

رقم الايداع: ١٤٢٥/٤١٤٠

ردمك: ٤-٢٤٠-٤٦-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م

دار الحبيب

ص ب ٨٥٣٠ الرياض ١١٤٩٢

هاتف وفاكس ٤٨٢٥٤٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

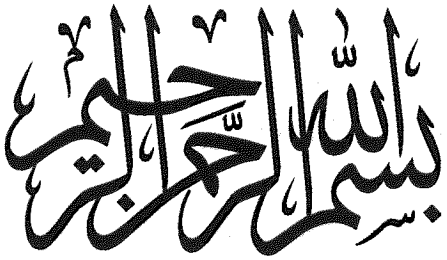
بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد . .

فهذه المقالات نُشرت خلال عقدين من الزمان في بعض الصحف والمجلات السعودية وهي في مختلف الفنون من حديث وفقه وتاريخ وغير ذلك ، فلا تخلو من فائدة، وقد جمعت ما وجدته منها وضاع منها الكثير وقد حرصت على نشرها للفائدة العامة، وحفظ لها من الضياع، وقد رتبتها حسب تاريخ نشرها الأقدم فالأقدم.

أسأل الله أن ينفع بها ، ورحم الله من وجد فيها زللاً وأرشدنا إليه. هذا والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الأول

نهاية الإنسان[1]

الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فقـــال بعض العلماء: بينما الإنسان في صحته متمتعاً فرحاً بقوته وشبابه لا يخطر له الضـــعف على قلب ولا الموت على بال إذ هجم عليه المرض وجاء الضعف بعد القوة وحل الهم من نفسه محل الفرح، والكدر مكان الصفاء ولم يعد يؤنسه جليس ولا يريحه حديـــث ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قد سئم ومل مما كان يرغبه في أيام صـــحته وصار لا يشتهي الغذاء ويكره تناول الدواء على بقاء في لبه وصحته في عقله يفكـــر في عمر أفناه وشباب أضاعه في الفسوق والعصيان وعند الملاهي والمنكرات. ويتذكر أموالاً جمعها ودوراً بناها وقصوراً شيدها وضياعاً جد وكد في حيازتها. ويتألم لدنيا فارقها ويترك ذرية ضعافاً يخاف عليهم الضياع من بعده مع اشتغال نفسه بمرضه وآلامـــه وتعـــلق قلبه بما يعجل شفاءه ولكـــن ما الحيلة إذا استفحل الداء ولم يفـــد الدواء وحار الطبيب ويئس الحبيب {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ}[2] عند هذا يستشعر الندم على ما مضى ويحس بعواقب التفريط والإهمال وقد تغير لونه وغارت عيناه ومال عنقه وأنفه وذهب حسنه وجماله وخرس لسانه وصار بين أهلـــه وأصدقائه ينظر ولا يفعل ويسمع ولا ينطق يقلب بصره فيمن حوله من أولاده وأهله وإخوته وأقاربه وأحبابه وجيرانه ينظرون ما يقاسيه من كرب وشدة ولكنهم عن إنقـــاذه أو تخفيف كربه عاجزون ثم لا يزال يعالج سكرات الموت وشدائده ويشتد به الـــنـــزع وجعـــل يتابع نفسه واختل نبضه وتعطل سمعه وبصره كما تعطل قبل ذلك لسانه حتى إذا جاء الأجل ونفذ القضاء وفاضت روحه إلى السماء صار جثة هامدة بين

---

(١) نشرة الشئون الدينية بالحرس الوطني – السنة الرابعة العدد الواحد والثلاثون شهر صفر ١٤٠٧هـ.

(٢) سورة ق آية ١٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهله وعشيرته قد استوحشوا من جانبه وتباعدوا. ومات اسمه الذي كانوا يعرفونه كما مـــات شخصه الذي كانوا يؤنسون به وأصبحوا يقولون الميت بعد أن كانوا ينادونه باسمه حياً فإنا لله وإنا إليه راجعون.

روى الإمـــام أحمـــد وأبو داود عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولم يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلســـنا حوله وكأنما على رؤوسنا الطير فجعل رسول الله ﷺ يرفع بصره وينظر إلى الســـماء ويخفض بصره وينظر إلى القبر ثم قال: (أعوذ بالله من عذاب القبر) قالها مـــراراً ثم قال ﷺ: (إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال على الآخرة وانقطاع عن الدنيا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فيقول أخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضـــوان فـــتخرج نفســـه تسيل كما يسيل قطر السقاء، ثم تنـــزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ومعهم أكفان من أكفان الجنة وحنوط من حـــنوطها فيجلسون منـــه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعـــوها في يده طرفة عين، قال ﷺ: فذلك قول الله تعالى: {تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ}[1] قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت فتعرج بها الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قـــالوا مـــا هذه الروح فيقال فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به إلى أبواب السماء الدنـــيا فيفتح لـــه ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقال اكتـــبوا له كتابه في عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون. فيكتب كـــتابه في عليين ثم يقال ردوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومـــنها نخـــرجهم تارةً أخرى. قال فيرد إلى الأرض وتعاد روحه فيأتيه ملكان شديدا الانـــتهار فيـــنهرانه ويجلسانه فيقولان: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإســـلام. فيقولان: ما تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. ما

---

(١) سورة الأنعام آية ٦١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بـــيديك فـــيقول: جاء بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت. قال ﷺ: وذلك قول الله تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ}[1] قال ﷺ: فينادي منادٍ من السماء صدق عبدي فألبسوه من الجنة وأروه منزله منها فيفسح لـــه مد البصر ثم قال: ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثـــياب فـــيقول له: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان الله وجنات النعيم. فيقول: بشـــرك الله بالخير. من أنت فوجهك الذي جاء بالخير. فيقول: هذا يومك الذي كنت توعـــد أنـــا عملـــك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سَريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصـــية الله فجزاك الله خيراً. فيقول: يا رب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي. قـــال ﷺ: فإن كان فاجراً كان في إقبال على الدنيا وانقطاع عن الآخرة جاءه ملك المـــوت فجلـــس عـــند رأسه فقال: أخرجي أيتها النفس الخبيثة أخرجي بسخط الله وغضبه، فتنـــزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من النار فإذا قبضها الملك قاموا فـــلم يدعوها في يده طرفة عين تتفرق فيستخرجها وقد تقطع منها العروق والعصب كالســـفود والكـــثير الشعب في الصوف المبلول فتؤخذ من الملك فتخرج كأنتن جيفة وجـــدت فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان بأسوأ أسمائه حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فلا تفتح لها، فيقولون: ردوها إلى الأرض إني وعدتهم إني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارةً أخرى فيرمى به من السماء وتلا ﷺ هذه الآية: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}[2] قال ﷺ: فيعاد إلى الأرض فتعاد فيه الروح ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ ومـــا ديـــنك؟ فيقول: لا أدري. فيقولان: ما تقول في الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا

---

(١) سورة إبراهيم آية ٢٧.

(٢) سورة الحج آية ٣١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يهتدي لاسمه فيقال: محمد، فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك فقلته. قال ﷺ: فيقال له: لا دريت فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله في صورة رجل قبيح الوجه منتن الريح قبيح الثياب فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه. فيقول: من أنت فوجهك الذي جاء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فوالله ما علمتك إلا بطيئاً في طاعة الله سريعاً إلى المعصية، قال ﷺ: فيقيض الله له أصم أبكم ومعه مرزبة لو ضرب بها جبل لصار تراباً فيضربه ضربة فيسمعها جميع الخلائق إلا الثقلين ثم يقال أفرشوا له لوحين من نار وافتحوا له باباً إلى النار)[1] انتهى هذا الحديث الشريف وهذه أبيات وجدت مكتوبة على قبر:

ذهب الأحبة بعد طول تزاور ... ونأى المزار وأسلموك وأقشعوا

تركوك أوحش ما تكون بقفرة ... لم يؤنسوك وكربة ما نفسوا

وقضى القضاء وصرت صاحب حفرة ... عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وفتنة الدجال وفتنة القبر وفتنة المحيا والممات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) رواه أحمد ٤/٢٨٧، وابو داود ٣/٥٤٦، والنسائي ٤/٨٧، وابن ماجه ١/٤٩٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الثاني

من رجال العلم الشرعي والقضاء المعاصرين في الجزيرة العربية[1]

الشيخ / سعد بن حمد بن عتيق

{الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون}[2]

وأصـــلي وأسلم على نبينا محمد قدوة الدعاة وإمام المتقين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

كانت جزيرة العرب تموج بالشرك والوثنية فأرسل الله لهم نبيه محمداً ﷺ لينقذهم به ويخـــرجهم مـــن ظلمات الشرك إلى نور الإسلام. فأشرقت شمس الحق من ربوع هذه الجزيرة العربية وأضاءت الدنيا جميعها.

ثم تعاقـــبت العصـــور وحدث في الجزيرة الكثير من الفتن مثل فتنة الردة والقرامطة وغيرهم. فتضاءل فيها مشعل الهداية أو كاد.

ثم مرت الجزيرة بفترات هبوط وارتفاع، فعم الجهل وقل التمسك بالإسلام وانتشر الشرك، وبنيت القباب على القبور، وعُبدت من دون الله، يطلبون منها قضاء الحوائج والشـــفاعة كمـــا كانوا يفعلون عند قبر زيد بن الخطاب في العيينة. وكذلك عند قبر خديجة في مكة، وحمزة في المدينة، وابن العباس في الطائف، وغيرها كثير.

واستغل ذلك أصحاب الطرق الصوفية وزعموا أن لهذه القبور كرامات، وأنها تقضي الحوائج، وتشفي المرضى، وأكلوا أموال الناس بالباطل باسم النذور. هكذا كان عليه الوضع في جزيرة العرب حتى بداية القرن الثاني عشر الهجري.

---

(١) نشر في مجلة الحرس الوطني صفر ١٤٠٩هـ / ديسمبر ١٩٨٨م.

(٢) سورة الأنعام آية ١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم يسر الله لهذه البلاد عالماً مخلصاً دعا الناس إلى دين الحق هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- الذي ولد في عام ١١١٥هـ.

ووفق الله لنصرته الأئمة الميامين من آل سعود فكانوا أئمة مجاهدين وعلماء عاملين جاهدوا في الله حق جهاده حتى أقاموا راية الإسلام عالية، وحملوا مشعل التوحيد الخالص والعقيدة الصافية وأقاموا عليها الدولة السعودية الحديثة، فمنذ عهد الإمام محمد بن سعود إلى عهد الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراهما- والى أبنائه البرره.

أصبحت هذه البلاد بفضل الله إلى يومنا هذا منارة علم وهداية تضيء للعالم أجمع سبيل الخير والرشاد. ويسر الله لهم من القوة المادية ما يعينهم على نشر الخير والهداية، وهذا كله فضل من الله بسبب تمسكهم بالتوحيد. في حين نرى أن الدول الكبرى في عالمنا اليوم تسعى إلى نشر مبادئها الهدامة وفلسفاتها وعقائدها الضالة، وهذه البلاد كالجبل الصامد الحامل لنور الهداية لا يزحزحه غزوهم الفكري ولا دعايتهم الإعلامية.

وقد سارت هذه الدعوة الإسلامية الإصلاحية رغم من كاد لها وعاداها من أصحاب المذاهب الباطلة والفرق الضالة التي تكن حقد وعداوة للإسلام الصحيح ومن تمسك به. ولكن إرادة الله هي الغالبة، فيذهب الزبد والغثاء ويبقى الحق إلى أن تقوم الساعة يضيء للدنيا كما في الحديث: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون على الناس)[1].

وقد أنجبت هذه الدعوة الإسلامية صحيحة، على مدى قرنين، علماء أجلاء ومشايخ أفذاذ.. وقضاة دعاة تقاة، تراهم صواماً في النهار سجداً في الليل، مجاهدين بأنفسهم وأموالهم وعلمهم، يذكرونك بالرعيل الأول لصدر الإسلام.

ومن أمثلتهم الشيخ / سليمان بن عبدالله، والشيخ / عبدالرحمن بن حسن، وابنه عبداللطيف، والشيخ / عبدالله أبا بطين، والشيخ / محمد بن إبراهيم

---

(١) رواه مسلم باب الإمارة ٨٥٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مثواهم.. وقد استمرت مواكب دعاة العلم ودعاة العمل، فنجد بين أظهرنا اليوم أمثال الشـــيخ عـــبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، والشيخ عبدالله بن جبرين، وغيرهم المئات ولله الحمد.

وسوف نبين للقارئ الكريم في هذه السلسلة من المقالات شيئاً من سير وأخبار هؤلاء العلماء القدوة على مدى القرنين الماضيين بإذن الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من علماء الجزيرة العربية في العصر الحديث

الشيخ سعد بن حمد بن عتيق هو الشيخ الزاهد سعد بن حمد بن علي بن عتيق.

ولد -رحمه الله- عام ١٢٧٩هـ في بلد الحلوة، وهي من بلدان الحوطة التي كان والده قاضياً بها، فبدأ في القراءة على والده الشيخ حمد بن عتيق.

ثم رغب التزود، فسافر إلى الهند، وقرأ على محدث الهند الشيخ نذير حسين الدهلوي، والشيخ صديق حسن خان القنوجي، والشيخ شريف حسين محمد الأنصاري الخزرجي اليماني، نزيل الهند، فأقام عندهم في الهند تسع سنين، يقرأ عليهم، فاستفاد منهم فائدة كبيرة،ثم قدم لأداء فريضة الحج، فأكب على القراءة، والاستفادة من العلماء الموجودين بمكة، أمثال الشيخ شعيب الداكالي، وأحمد بن إبراهيم بن عيسى النجدي، وغيرهم، فبلغ في العلم مبلغاً كبيراً، وصار يشار إليه بالبنان، وعين قاضياً في الرياض بعد وفاة قاضيها الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف.

كما ورث عن والده الغيرة الشديدة في الدين، والصلابة في العقيدة.

وكان يدرس في الجامع الكبير، ويحرص على إلقاء الدرس، فيقرأ الحواشي والشروح، ويضبطها لغة ونحواً وصرفاً، فأقبل عليه الطلاب، وحفوا به واستفادوا منه.

وقد تصدى -رحمه الله- لنشر العلم بالكتابة، فقد بعث الرسائل والنصائح، وحرر الفتاوى والأجوبة التي لو جمعت لجاءت في كتاب كبير.

وقام بنظم مختصر المقنع، وله رسالة موجودة في جامعة الملك سعود برقم ٢١٥ اسمها: (حجة التمريض في تحريم الذبح للمريض). (مخطوطة).

وله تلاميذ كثيرون، ومن أشهرهم الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ، والشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة السابق، والشيخ عمر ابن حسن رئيس هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقاً، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري، وغيرهم كثير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد توفي -رحمه الله- في ١٣ جمادى الأولى ١٣٤٩هـ ودفن في مقبرة العود، وقد بكاه الناس وحزنوا لموته(١).

قال الشيخ عبدالعزيز الشثري (المشهور بأبي حبيب يرحمه الله): انه أكثر من القراءة على الشيخ سعد، وربما قرأ عليه في المجلس الواحد عشرين ورقة.

قال: كنت أقرأ عليه في كتاب الزواجر لابن حجر الهيثمي، فمر بنا في الكتاب كلمة فيها غلو في القبور والتوسل، فقال الشيخ سعد:يريد أن يخبرنا ببدعته، يعني الهيثمي.

قال أبو حبيب: فكرهت الكتاب، فلما انتهى المجلس قلت يا شيخ سعد: لا أريد أن أقرأ في هذا الكتاب إذا صار فيه بدع.

فقال الشيخ سعد: لا يا ولدي، اقرأ فيه، نأخذ من خيره، وشره نرده، مثل هذه الكلمة، والحق نعرفه إن شاء الله..

يذكر ذلك الشيخ عبدالله بن جبرين الذي ذكر أيضاً قوله: كنت أقرأ على ((أبو حبيب))، في آداب المشي إلى الصلاة في مس المرأة، كلمة: أو كانت عجوزاً لا تشتهي فقال الشيخ: لا تشتهى، ثم قال: لقد قرأت هذه الكلمة على الشيخ سعد بن عتيق -رحمه الله- مثل قراءتك علي الآن، فقال لي: لا تشتهى. هي تشتهي إلى أن تموت.

وهذا مثال من رسائل الشيخ سعد بن حمد بن عتيق -رحمه الله-.

بسم الله الرحمن الرحيم(٢)

من سعد بن حمد بن عتيق إلى الأخ المكرم عبدالعزيز بن محمد الشثري -سلمه الله تعالى وهداه وحفظه وتولاه، السلام ورحمة الله وبركاته، وبعد:

موجب الخط إبلاغك السلام، والسؤال عن حالك، لا زلت بخير وعافية.

وأحوال محبك من فضل الله على ما تحب، جعلنا الله وإياك لنعمه شاكرين، وخطك وصل، وصلك الله ما يرضيه، سرنا طيبك وصحة حالك.

وما ذكرت من المسائل الثلاث فسؤال مثلي يدل على انقراض العلم وانتقال أهله لما اتصفنا به من قلة العلم وقصور الفهم، مع ما انضم إلى ذلك من كثرة الأشغال وقلة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفراغ، ولكن الأمر كما قيل:

ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتها رُعي الهشيم

ولما لم يكن بد من الجواب حررنا ما تراه، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن غير ذلك فأستغفر الله.

المسألة الأولى: قول السفاريني في عقيدته:

(وليس ربنا بجوهر ولا عرض ولا جسم تعالى ذو العلى)

هل هذا موافق لمذهب أهل السنة أم لا؟

الجواب: إن إطلاق لفظ الجوهر والعرض والجسم على الرب سبحانه وتعالى إثباتاً ونفياً ليس من عبارات السلف الصالح المقتدى بهم، في باب أسماء الرب سبحانه وتعالى وصفاته.

ومثل ذلك لفظ الجهة والحيز وغير ذلك من الألفاظ التي تحتمل حقاً وباطلاً، لا يوجد شيء من ذلك في كلام السلف الصالح -رحمهم الله تعالى-.

ومن نسب ذلك وما شابهه إلى السلف فهو مخطئ في ذلك لأن الطريقة المعلومة من السلف الصالح والجادة المسلوكة والمعتبرة عندهم في باب أسماء الرب وصفاته أنهم لا يتكلمون في ذلك إلا بما تكلم الله به أو تكلم به رسوله ﷺ، كما قال الإمام أحمد -رحمه الله-:

لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث.

ولفظ الجوهر والعرض والجسم فيما يتعلق بذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته إثباتاً ونفياً حرفة مشؤومة، وسجية مذمومة، وقد نص جماعة من أهل الحق والسنة على أن إطلاق مثل هذه الألفاظ في هذا الباب أمر مبتدع، وكلام مخترع، لا يجوز للمتشرع والمنتسب إلى الحق والسنة إطلاقه على الرب سبحانه وتعالى إثباتاً ونفياً، ولا يجوز نسبته إلى السلف الصالح.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ونحن نقتصر على ما وجدنا من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- ونذكره مختصراً مقتصرين على المقصود منه، قال -رحمه الله-:

وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك، لا يثبتون ولا ينفون، فمن نفاه فهو عند أحمد والسلف مبتدع، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع اقتداءً بالنبي ﷺ وأصحابه، هذا معنى كلام الإمام أحمد.. إلى أن قال وأنا أذكر لك كلام الحنابلة في هذه المسألة:

قال الشيخ تقي الدين بعد كلام له على من قال أنه ليس بجسم ولا بجوهر ولا عرض، قال -رحمه الله-:

فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والحيز والجهة ونحو ذلك.. إلى أن قال شيخ الإسلام:

والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره ذكرهم أهل البدع لألفاظ كلفظ الجسم والجوهر والحيز لم يوافقهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفي. انتهى كلام الشيخ تقي الدين.

وهذا ما نقلناه من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله-، وقال في تلك الرسالة: ومن كلام أبي الوفا ابن عقيل: وأنا أقطع أن أبا بكر وعمر ما عرفا الجوهر والعرض. انتهى.

وفي هذا كفاية لمن أراد الله هدايته، والله أعلم.

المسألة الثانية: في أخذ المسلم فيه المعيب مع أرشه.. ما صفته؟

الجواب: صورة ذلك فيما يظهر لي أنه إذا وجد المسلم فيه معيباً بالسوس مثلاً أو غير ذلك من الفساد، كما إذا سلم في مائة صاع تمر مثلاً، فقبض المسلم فيه فوجده سوساً، فإنه ينظر قدر ما ينقص العيب هذا التمر لو كان سليماً من الفساد، فإذا ينقصه العشر رجع بعشر المائة تمراً صحيحاً، وإلا يرجع بأرش العيب من النقدين، وإلا من غير جنس المسلم فيه، لأنها حينئذ تجيء مسألة الاعتياض عن دين المسلم بغير

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جنسه، وفيها الخلاف المعلوم.

ومقتضـــى ما ذكره الأصحاب أن ذلك لا يصح، وقد عرفت مما ذكرنا أن هذا في العيب كالسوس مثلاً.

وأما إذا وجد المسلم فيه رديئاً فليس إلا قبوله أو رده، كما نوهوا عليه، فراجعه في محله.

هذا ما ظهر لي، فإن وجدتم كلاماً لأحد من العلماء في المسألة فأتحفونا به مأجورين.

المسألة الثالثة: إذا باع جملاً واشترط حملاً إلى موضع معين، ثم تلف، هل يكون ضمانه على المشتري أو البائع؟

إذا بـــاع الجمل واشترط حملانه إلى موضع معين، صح الشرط كما دل عليه حديث جابر.

قال: فلو تلف في يد البائع فضمانه على المشتري، وليس على البائع ضمان لأنه أمانة في يده، وإن تلف من غير تعد منه فلا ضمان عليه.. والله أعلم.

الهامش

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبدالله بن بسام، ٢٦٦/١.

(٢) فتاوى الشيخ سعد بن عتيق، ص٨٤، جمع وترتيب: إسماعيل بن سعد بن عتيق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وهـــذه مرثـــية في الشيخ سعد بن عتيق، قالها الشيخ صالح بن محمد الشثري، أخو شيخنا أبي حبيب -يرحمهم الله جميعاً-:

على الحبر بحر العلم بدر الكواكب ... نريق كصوب المعصرات السواكب
على شيخنا بحر العلوم ومن سما ... إلى الرتبة العلياء سامي المناقب
على علم الأعلام شيخ ذوي التقى ... سلالة خير من هداة أطايب
سلالة حبر كان لله داعياً ... وأعني به حمداً رفيع المراتب
فواهاً لها من لوعةٍ ومصيبةٍ ... مصيبة شخص فاضل ذي مناقب
مناقب فضل كالنجوم شهيرة ... فعدتها أعيت على كل قاطب
مصيبة شيخ المسلمين جميعهم ... وأعني به سعداً عفيف المذاهب
لقد كان ذا علم وقد كان ذا تقى ... وذا همة علياً لنيل المطالب
لقد فاق في حلم وعلم وعفة ... وليس لدى الأشرار يوماً بصاحب
لقد عاش في الدنيا عفيفاً موفقاً ... لكسب المعالي واجتناب المعايب
لقد عاش في الدنيا بأحسن سيرة ... من البر والتقوى وحسن المناقب
لقد كان كهفاً للأنام ومعقلاً ... إماماً لأهل الخير من كل جانب
لقد كان طوداً للعلوم جميعها ... وقد كان ذا علم بكل المذاهب
لقد جد للعلم الشريف بجهده ... فنال بحمد الله أعلى المواهب
فسار إلى الشيخ الرئيس يؤمه ... أبا حسن صدّيق سامي المراتب
فأكرم بصدّيق النبيل محقق ... بالعلم داراً أشاد لنيل المآرب
فكان لدى التاريخ للهند راحلاً ... غشى أعين الكفار ليل الغياهب
أقام بدار الهند في طلب العلا ... فحاز بها أعلى المنى والمطالب
ومن بعدها جد المسير لمكةٍ ... فنال من المولى جزيل الرغائب
فنال بكسب العلم فضلاً ورفعةً ... فإن منال العلم أعلى المكاسب
فأوهبه مولاه علماً بفضله ... فسبحان من يعطي جزيل المواهب
فيا أيها الشيخ النبيل أخو الندى ... عليك سلام الله يا بن الأطايب
وإن كنت عنا في المقابر نازحاً ... سلام كمثل الشهد يُهدى لشارب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فما لربوع العلم بعدك أقفرت ... وأسفت عليها ذاريات الهبائب
فمن لفروع العلم بعدك جهبذاً ... عليم بأقوال الهداة الأطايب
وأعني بهم طرّاً صحابة أحمد ... وتابعهم أهل التقى والمناقب
كاحمد والنعمان والحر مالك ... وكالشافعي أكرم بهم من مذاهب
فموردهم من منهل طاب ورده ... وأكرم بهم من سادة وأطايب
تفرعت الأغصان من أصل واحد ... من السنة الغراء عذب المشارب
فكلهمُ ينحى طريقة أحمد ... فحاشاهمُ أن ينطقوا بالأكاذب
فقد كان هذا الشيخ قد سار نهجهم ... على المنهج الأسنة عذب المشارب
فلم يخش إلا الله في كل حالة ... وحرب لأصحاب الخنا والمعائب
ولم يتخذ في الله لومة لائم ... فنرجو له الزلفى وحسن العواقب
لقد أظلمت نجد وزال سرورها ... بموت وعاة العلم في كل جانب
فآهٍ لفقد العلم آهٍ لفقده ... فإن بفقد العلم سوء العواقب
وإن بفقد العلم تعطيل سنة ... وإحداث شرٍ يا لها من مصائب
لقد قوض العلم الشريف من الورى ... بدنّ غيِّبت أعلامه في الغياهب
وصارت لدى الجهال كلّ مسودّ ... فهذي لعمر الله إحدى المصائب
فهذا كما قال الرسول محمد ... حديث صريح النقل ليس بكاذب
بان انتزاع العلم قبض وعاته ... رواه عن المختار جمع الأصاحب
فليست بلو أوليت تجدي مسرة ... ولكن لو أوليت شر المناقب
فما قدّر الرحمن لا بد كائن ... وليس إله العرش عنا بغائب
فصبراً بني الإسلام صبراً فإننا ... إلى الله نشكو ما دهى من مصائب
مصائب لا تخفى على ذي بصيرة ... ومن دان بالإسلام أعلى المطالب
لقد ظهرت جهراً شعار ذوي الردى ... بلا حذر في جهرها من معاتب
لقد ضُهد الإسلام في كل وجهة ... من الأرض في شرقيّها والمغارب
فواهاً لها من محنة وبلية ... فهذا لعمر الله شيب الذوائب
فهلّوا بني الإسلام دمعاً هوامعاً ... وضجوا إلى المولى لكشف الكرائب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الثالث

الشثور في بلد الأفلاج[1]

كتب إلى صاحب ((العرب)) الأخ الكريم الأستاذ محمد بن ناصر الشثري كتاباً حول نسب أسرته (آل الشثري) وأرفق هذا الكتاب بوثيقة بخط الشيخ صالح بن محمد الشثري المتوفى سنة ١٣٠٩هـ ، يجدها القارئ مصورة مع هذا، ومما جاء في كتاب الأخ: إن الشثور المنسوبين إلى زياد -المذكور في تلك الوثيقة- موجودون في بلاد بني جعدة منذ عرف تاريخهم، وهم الذين عمروا مدينة ليلى في حدود سنة ثمانيمائة، وقد بنوها على أنقاض الهيصمية بلدة بني كعب بن ربيعة، وكان للشثور الإمرة على معظم الأفلاج إلى حدود القرن الحادي عشر الهجري. انتهى وحبذا لو أن الكاتب الكريم زاد إيضاحاً في هذه المعلومات المتعلقة بتجديد عمران مدينة ليلى على أنقاض الهيصمية، وعن عهد الشثور في هذه البلاد وماذا يعرف من تاريخهم.

وقد سبق لصاحب هذه المجلة أن نشر في كتاب ((جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد)) -في الكلام على نسب الشثور- مضمون هذه الوثيقة نقلاً عن ورقة بخط الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود قاضي قطر.

وبعد ذلك اطلعت على نسب لهذه الأسرة الكريمة (آل الشثري) في كتاب مؤلف حديث هذا ملخصه:

إبراهيم بن حمد الشثري (١١٨٠-١٢٦٣) ولد في الأفلاج ويعود جده الأعلى شثر بن محمد بن مزحل بن زيد بن علي بن عليش بن عادي بن جمعان ابن هادي بن مسعود بن مبارك بن فالح، ويلتقي مع بني لحيان بن سفر بن عازب في (فالح)، وفالح فرع من آل سرب بن سالم بن راجح (السربة)، وسرب يجمع آل شثر وآل سهل بن ناجح بن محمد، والسربة بطن من بني جحيش بن زيد أحد بطون آل سليمان بن

---

(١) نشر في مجلة العرب عدد رجب وشعبان عام ١٤٠٩هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زيـــدان(١) أحد عشائر حرق بن زارب (الحرقان)، وحرق بن زارب بن أثير بن طلق مـــن بطـــون بني قيس بن دعاس بن عاصم بن ربيع من بني مرمض من زبيد من بني الحـــارث بـــن كعـــب المذحجي، وتحالف بنو حرق وبنو زهير مع طلق وأصبحوا في عدادهم، وطلق من ولد الحارث بن كعب.

وتحولـــت قبيلة آل سرب (السربة) إلى نجد مع آل ضيغم بن شهوان بن منصور بن ضيغم بن منيف الجنبي مع قبائل قحطان، واستقر معظمها في الأفلاج وحوطة بني تميم إثر حروب جرت بينهم وبين بني عقيل وحلفائهم من عدوان، وزعب، وخالد، ولام، أيـــام الأمـــير عبدالرحمن بن عبدالوهاب بن غانم بن صقر اليزيدي عام ٧٦١ عندما دخلت قواته الوادي، والأفلاج، وحجر اليمامة، وانتهت بانتصار آل سرب وأحلافهم من سبيع بقيادة بدر بن معن المعني الزعبي في موقعة (شثر) و (شثير) وهما جبلان يقعان جـــنوب (ســـقمان) بمرحـــلة، وتصاهر الشتور مع بني زعب فيما بعد. وغدت إمارة الأفلاج والوادي لبدر بن معن الزعبي من قبل الأمير عبدالرحمن بن عبدالوهاب إلى أن انتزعها منه شريف مكة حسن بن أبي نمي، وأمّر عليها الشريف حامد بن ياسين القاسم في مطلع القرن التاسع.

وبـــرز مـــن الشتور علماء أفاضل، وشعراء نبلاء، وقد بسط والدي شأنهم وذكر تراجمهم أعيان الأفلاج والوادي، وحوطة بني تميم من (مضبطة) دفعها الشيخ إبراهيم بن حمد بن محمد المشار إليه إلى جدي وبسطها والدي في كتابه ((متعة الناظر ومسرح الخاطر)) المقتضبة منها هذه السطور.

وعـــندما قام الإمام فيصل بن تركي حاول ضم وادي الدواسر ومناطق جنوبي نجد بـــالقوة، وأرســـل حمـــلة بإمرة حمد بن محمد بن عبدالله بن عياف بن مقرن فلم تظفر بشـــيء، ثم تم الصلح بين الطرفين في السنة التي تلت حيث أوفد فيصل وفداً برئاسة الأمير سعود بن إبراهيم بن عبدالله بن فرحان (٢)، وعبدالله بن إبراهيم بن عبدالله بن فـــرحان، والأمـــير مشـــاري بن عبدالله بن محمد بن عياف (٣) إلى عائض بن مرعي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

للتفاهم، وتم الاتفاق.

ولما فر الإمام فيصل بن تركي (٤) من مصر ورجع إلى نجد يقاوم الأتراك ومن والآهم فبدأ الأتراك أيضاً بمضايقته فطلب من الإمام عائض بن مرعي مساعدته بقوة، فأمر الإمام عائض عامله ابن ضبعان الارتحال عما تحت يده والعودة ثانية إلى بيشة عام ١٢٦٠، وفي هذه الأثناء أرسل الشيخ إبراهيم بن حمد الشثري إلى الإمام عائض هذه القصيدة، وحملها إليه وفد من أهل المنطقة منهم:الشيخ راشد بن رشود بن سعيد آل مهيض، والشيخ الشريف إبراهيم بن محمود ابن منصور آل حامد، والشيخ حمد بن علي بن عتيق، وعبدالله بن عجلان، ومبارك الصخيبري، ومحمد بن ناصر الكبيري، وكان قد سبقهم وفد من حوطة بني تميم بإمرة الشيخ تركي بن عبدالله الهزاني وغيره من أعيان المنطقة، ووجهاء الشثرية، وآل فوزان، وآل خريف، وآل حسين، إذ أن معظم بلدان نجد قد اعتادوا ارتياد المنطقة لما بينهم من ارتباط، ولموقعها التجاري، وقد استضاف الشيخ سحمان بن مصلح ووالدي هذا الوفد بإذن من الإمام عائض، وبقوا في مدينة أبها حوالي ثلاثة أشهر، فوفد عليهم طلاب العلم ينهلون من معارفهم، وكان لهم حلقات في مسجد مناظر، ورحبة شدا.

وكان الشيخ إبراهيم -رحمه الله- أبيض، طويلاً، نحيل الجسم، دائم الابتسامة، جهوري الصوت، ذا شعر جيد، وفيه جزالة وقوة، ومعانٍ رفيعة، سلسل العبارة. وذكر والدي في (متعته) عدة قصائد له في ترجمته مع بعض أفراد عائلته.

وتوفي الشيخ إبراهيم عن ستة أولاد هم: عيسى، وسليمان، وعلي، وعبدالعزيز، وعبدالله، ومحمد (٥) وهم من العلماء الأفاضل الذين ترجم لهم والدي. وكان الوادي ومنطقة جنوبي نجد قد انضمت إلى عسير أيام الأمير سعيد ابن مسلط وبقيت تتبعها أيام الأمير علي بن مجثل، والأمير عائض بن مرعي، وذلك عندما استولى الأتراك على نجد، ولم يبق في جزيرة العرب من يقاومهم ويناهضهم سوى عسير التي حمل قادتها دعوة التوحيد والتجديد حتى أطلق الأتراك عليهم (شيوخ الوهابية) في عسير. انتهى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحواشي

(١) ينقسم آل حرق إلى عدة فروع منها: آل سليمان، آل سلمان، وآل الغمر، ويتفرع من آل سليمان خمسة بطون وهي: آل كناد، آل قنفد، آل سلطان، آل أبو جمعة، وآل جحيش، ويتفرع آل جحيش إلى خمسة أفخاذ وهي: آل سرب (السربة)، آل حسن بن زايد، آل عجيبة، آل الطميران، وآل الورك، وكانت مساكن آل السربة مع قومهم بوادي العرين بـ(طريب) في تثليث، وهم قرى: العلوب، وقيان، والعرقة، والمضيق وغيرها، هذا عدا الفرع من الحرقان الموجود في اليمن في (براد) وقد دخل في آل منيف من الضياغم من ولد روح، ودخل قسم من آل جحيش مع قسم من آل معمر وآل سلطان مع بني زبيد العراق.

(٢) ومن أحفاد سعود تركي وناصر وبهما انحصرت ذرية آل فرحان. أما أخوه عبدالله فلم ينجب، وكان قد سجن مع فيصل بن تركي، وسار معه إلى الرياض عام ١٢٥٩ تحت حراسة عدة أشخاص من قبيلة روق بن جحدربن عبدالله بن سنحان، وهم الذين اختارهم والي مصر للحفاظ على فيصل لاستغلال ثوراته في نجد لبقائه والياً على مصر لأن أحداث نجد مرتبطة به.

(٣) ومن أحفاد مشاري: حسن بن عبدالعزيز بن مشاري، والعالم الورع الأصولي اللغوي الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن مشاري ويعد عالم آل مقرن في هذا العصر، ومن أبرز علماء نجد، وفيهما انحصرت ذرية آل عياف.

(٤) انحصرت ذرية تركي في أولاده: فيصل، وجلوي، وعبدالله، وانحصرت ذرية فيصل في ولديه سعود وعبدالرحمن، في ذرية عبدالعزيز بن عبدالرحمن انحصر ملك آل سعود..

(٥) الثابت لدي أن جدي إبراهيم أولاده الأربعة هم سليمان وعيسى وعلي وعبدالعزيز وأما ما ذكر هنا من عبدالله ومحمد فهم أولاد حمد ابن الجد إبراهيم وقد انقطع عقبهم الآن ولم يبق من ذريتهم إلا امرأة موجودة حال كتابة هذه الأسطر. كتبه محمد بن ناصر الشثري

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقال الرابع

من علماء نجد في القرن الثالث عشر

الشيخ صالح بن محمد بن حمد الشثري

قرأ على المشايخ عبدالرحمن بن حسن، وعبدالله بن عبدالرحمن (أبا بطين)، وعبداللطيف بن عبدالرحمن، وعبدالملك بن حسين بن محمد بن عبدالوهاب، ومن تلاميذه المشايخ: إبراهيم بن عبدالملك، وعبدالعزيز بن إبراهيم الشثري، ومحمد بن عميقان، وعبدالعزيز بن إبراهيم الشثري.

ومن مؤلفاته: كتاب في الرد على دحلان مخطوط[1]، وكتاب في الرد على ابن دعيج في تجويزه موالاة المشركين مخطوط[2]، وله كتاب في علم الفلك، وكتاب في الأنساب، والكتابان مفقودان.

ولما ناقش بعض العلماء الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في فتواه بإمامة سعود بن فيصل -رحمهم الله جميعاً- احتج عليهم بمبايعة الشيخ صالح بن محمد، والمشائخ للإمام سعود بن فيصل، فقال في رسالته إلى الشيخ محمد بن علي آل موسى: (فالحاصل في هذا العصر بين أهل نجد له حكم أمثاله من الحوادث السابقة في زمن أكابر الأئمة الأربعة وغيرهم كما قدمنا، وصارت ولاية المتغلب ثابتة كما أشرنا، ووقع اتفاق ممن ينتسب إلى العلم لديكم على هذا كالشيخ إبراهيم، والشثري في الحوطة، وحسين وزيد في الحريق، وخطوطهم عندنا محفوظة معروفة، فيها تقرير إمامة سعود، ووجوب طاعته، ودفع الزكاة إليه والجهاد معه، وترك الاختلاف عليه، كل هذا موجود بخطوطهم، فلا جرم قد صار العمل على هذا والاتفاق).

---

(١) تم بحمد الله طباعته أخيراً بعنوان "تأييد الملك المنان في نقض ضلالات دحلان" وترجم إلى اللغات الإنجليزية والروسية والفارسية والبشتو.

(٢) وقد طبع أخيراً بعنوان "حكم اللجوء والإقامة في بلاد الكفار".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكتاب الشيخ صالح الذي يشير إليه الشيخ عبداللطيف هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

مـــن صالح بن محمد الشثري، وحمد وعيسى بن إبراهيم، إلى الإمام المكرم سعود بن فيصل.. ساعده الله بالتوفيق، وأجاره من موجبات التعويق آمين.

ســـلام علـــيكم ورحمـــة الله وبـــركاته... وموجب الخط إبلاغك السلام والتحفي والإكرام، وخطك الشريف وصل وصلك الله إلى الخير.

ما تضمنه من البشارة باجتماع المسلمين فالحمد لله رب العالمين، وما أشرت إليه من الاهـــتمام بما يصلح الله به العباد، فأنت فاهم أن الأغراض الدنيوية التي أكثر الخلق لها يعملون منتفية عنا بفضل الله ومنته، وإنما القصد اجتماع المسلمين على كلمة التوحيد، وما تقتضيه من الأقوال والأعمال، ونفي التنديد، فالذي وصيك به تقوى الله سبحانه، الذي ولاّك بلا سبب ممن يحبك أو يَقْلاك (؟) فعليك بملاحظة مراده منك وتجديد النية، وإصـــلاح الطوية، والإحسان إلى الرعية، وانظر إلى حال والدك -رحمه الله- مع الخلق، ومعاملـــته لهـــم، حيث أحبته قلوبهم، واطمأنت به نفوسهم، إذ قابل السيئة بالحسنة، وعمـــل بقوله تعالى:﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[1] ولم يصغ بأذنه إلى أهل القيل والقال.

واعتبر بمن قبلك حيث أوغرت له من ذلك صدور الرجال، وليكن لك اعتناء بتقديم أهـــل العقـــل والفقه في مناصب المسلمين، تحمد العاقبة في العاجل ويوم الدين، والله المســـؤول أن يتولاك، وأن لا يكلك إلى نفسك وهواك، وأن يصلح بك ما فسد، وأن يطهر منك باطن الروح وظاهر الجسد.)) انتهى

(١) سورة فصلت آية ٣٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كما أن الشيخ عبدالله العنقري في حاشيته على ((الروض المربع)) أورد فتوى للشيخ صالح بن محمد هذا نصها:

(قال الشيخ صالح بن محمد الشثري: إذا وقف نخلة فبادت، فالعرف ومقاصد الناس معتبر، والعرف في وقتنا: أن الواقف لا يقصد إلا جذع النخلة، وأنها لا تعاد إذا بادت، مع أن القياس يقضي ذلك من أن الفرع لا يتبعه الأصل، وأن الأصل يتبعه الفرع، إلا أن يوقف بستاناً ونحوه، فالقرينة تقتضي دخول الأصل والفرع معا. انتهى.

وقد توفي الشيخ صالح سنة ١٣٠٩هـ رحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه جنته.

وتدعو المناسبة لإيراد نص رسالة من كبير علماء نجد في زمانه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الشيخين: زيد بن محمد، وصالح بن محمد الشثري، وتعد وثيقة في الخلاف الذي حصل بين أبناء الإمام فيصل بن تركي لصدورها من العالم الثقة شيخ مشايخ نجد في زمانه والذي سعى بالصلح بين الإمامين، وعلماء نجد وعامتهم كانوا تبعاً له في فتواه، وقد ذكر الشيخ سليمان ابن سحمان -رحمه الله- في (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية). أن هذه الرسالة هي آخر ما كتب الشيخ عبداللطيف -رحمه الله-.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى الأخوين المكرمين زيد بن محمد وصالح بن محمد الشثري، سلمهما الله تعالى..

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو على نعمه، والخط وصل أوصلكم الله إلى ما يرضيه.

وما ذكرتموه كان معلوماً، وموجب تحرير هذا ما بلغني بعد قدوم عبدالله وغزوه من أخل الفرع، وما جرى لديكم من تفاصيل الخوض في أمرنا والمراء والغيبة، وإن كان قد بلغني أولاً كثير من ذلك، لكن بلغني مع من ذكر تفاصيل ما ظننتها.

فأما ما صدر في حقي من الغيبة والقدح والاعتراض والمسبة، ونسبتي إلى الهوى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعصـــبية، فتلك أعراض انتهكت وهتكت في ذات الله، أعدها لديه جل وعلا ليوم فقري وفاقتي، وليس الكلام فيها.

والقصـــد بيان ما أشكل على الخواص والمنتسبين من طريقتي في هذه الفتنة العمياء الصـــماء، فأول ذلك مفارقة سعود لجماعة المسلمين، وخروجه على أخيه، وقد صدر مـــنا الـــرد عليه، وتسفيه رأيه، ونصيحة ولد عائض وأمثاله من الرؤساء عن متابعته، والإصـــغاء إليه ونصرته، وذكرناه بما ورد من الآثار النبوية والآثار القرآنية بتحريم ما فعل، والتغليظ على من نصره، ولم نزل على ذلك إلى أن وقعة وقعة جوده، فثل عرش الولايـــة، وانتثر نظامها، وحبس محمد بن فيصل، وخرج الإمام عبدالله شارداً، وفارقه أقاربه وأنصاره، وعند وداعه وصيته بالاعتصام بالله، وطلب النصر منه وحده، وعدم الركون إلى الدولة الخاسرة.

ثم قـــدم علينا سعود بمن معه من العجمان، والدواسر، وأهل الفرع وأهل الحريق، وأهل الأفلاج، وأهل الوادي، ونحن في قلة وضعف، وليس في بلدنا من يبلغ الأربعين مقـــاتلاً، فخرجـــت إلـــيه، وبذلت جهدي ودافعت عن المسلمين ما استطعت خشية استباحة البلدة.

وممن معه من الأشرار، وفجَّار القراء من يحثه على ذلك، ويتفوه بتكفير بعض رؤساء بلدتنا، وبعض الأعراب يطلقه بانتسابهم إلى عبدالله بن فيصل، فوقى الله شر تلك الفتنة ولطف بنا، ودخلها بعد صلح وعقد، وما جرى من المظالم والنكث دون ما كنا نتوقع، ولـــيس الكلام بصدده، وإنما الكلام في بيان ما نراه ونعتقد وصارت له ولاية بالغلبة والقهر تنفذ بها أحكامه، وتجب طاعته في المعروف كما عليه كافة أهل العلم على تقادم الأعصار ومر الدهور.

ومـــا قـــيل في تكفيره لم يثبت لدي، فسرت على آثار أهل العلم، واقتديت بهم في الطاعة في المعروف وترك الفتنة، وما توجب من الفساد على الدين والدنيا، والله يعلم أني بار راشد في ذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن أشكل عليه شيء من ذلك فليراجع كتب الإجماع كمصنف ابن حزم ومصنف ابن هبيرة، وما ذكره الحنابلة وغيرهم.

وما ظننت أن هذا يخفى على من له أدنى تحصيل وممارسة، وقد قيل: سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم.

وأما الإمام عبدالله فقد نصحت له أشد النصح، وبعد مجيئه لما أخرج شيعة عبدالله سعوداً، وقدم من الإحساء ذاكرته في النصيحة، وتذكيره بآيات الله وحقه وإيثار مرضاته والتباعد عن أعدائه وأعداء دينه أهل التعطيل والشرك والكفر البواح، وأظهر التوبة والندم، واضمحل أمر سعود وصار مع شرذمة من البادية حول آل مرة والعجمان، وصار لعبدالله غلبة ثبتت بها ولايته كما تقدم أن عليه عمل الناس من أعصار متطاولة.

ثم ابتلينا بسعود وقدم إلينا مرة ثانية، وجرى ما بلغكم من الهزيمة على عبدالله وجنده، ومر بالبلدة منهزماً لا يلوي على أحد، وخشيت من البادية وعجلت إلى سعود كتاباً في طلب الأمان لأهل البلدة، وكف البادية عنهم، وباشرت بنفسي مدافعة الأعراب مع شرذمة قليلة من أهل البلد ابتغاء ثواب الله ومرضاته، فدخل البلد، وتوجه مع عبدالله إلى الشمال، وصارت الغلبة لسعود، والحكم يدور مع علته.

وأما بعد وفاة سعود فقدم الغزاة ومن معهم من الأعراب العتاة، والحضر الطغاة، فخشينا الاختلاف وسفك الدماء وقطيعة الأرحام بين حمولة آل مقرن، مع غيبة عبدالله، وتعذرت مبايعته بل ومكاتبته، ومن ذكره يخشى على نفسه وماله، أفيحسن أن يترك المسلمون وضعفاؤهم نهباً وسلباً للأعراب والفجار، وقد تحدثوا بنهب الرياض قبل الربيعة، وقد رامها من هو شر من عبدالرحمن وأطغى، ولا يمكن ممانعتهم ومراجعتهم، ومن توهم أني وأمثالي أستطيع دفع ذلك مع ضعفي وعدم سلطاني وناصري فهو من أسفه الناس وأضعفهم عقلاً وتصوراً.

ومن عرف قواعد الدين، وأصول الفقه، وما يطلب من تحصيل المصالح ودفع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المفاسد، لم يشكل عليه شيء من هذا، وليس الخطاب مع الجهلة والغوغاء، إنما الخطاب معكم معاشر القضاة والمفاتي، والمتصدين لإفادة الناس وحماية الشريعة المحمدية، وبهذا ثبتت بيعته وانعقدت، وصار من ينتظر غائباً لا تحصل به المصالح، فيه شبه ممن يقول بوجوب طاعة المنتظر وأنه لا إمامة إلا به.

والكل يرى له الأولوية بالولاية، وصرنا نتوقع كل يوم فتنة، وكل ساعة محنة، فلطف الله بنا، وخرج ابن جلوي من البلدة، وقتل ابن صنيتان، وصار لي إقدام على محاولة عبدالرحمن في الصلح وترك الولاية لأخيه عبدالله، فلم آل جهداً في تحصيل ذلك والمشورة عليه، مع أني قد أكثرت في ذلك حين ولايته، ولم أزل أكرر عليه في ذلك يوماً فيوماً، حتى يسر الله قبل قدوم عبدالله بنحو أربعة أيام أنه وافق على تقديم عبدالله وعزل نفسه، ورأى الحق له، وأنه أولى منه لكبر سنه، وقدم إمامته، فلما نزل الإمام عبدالله بساحتنا اجتهدت إلى أن محمد بن فيصل يظهر إلى أخيه ويأتي بأمان لعبدالرحمن وذويه، وأهل البلد، وسعيت في فتح الباب، واجتهدت في ذلك ومع ذلك كله، فلما خرجت للسلام عليه، وإذا أهل الفرع وجهلة البوادي ومن معهم من المنافقين يستأذنونه في نهب نخيلنا وأموالنا، ورأيت معه بعض التغير والعبوس، ومن عامل الله ما فقد شيئاً، ومن ضيع الله ما وجد شيئاً، ولكنه بعد ذلك أظهر الكرامة ولين الجانب، وزعم أن الناس قالوا ونقلوا -وبئس مطية الرجل زعموا- وتحقق عندي دعواه التوبة، وأظهر لدي الاستغفار والتوبة والندم، وبايعته على كتاب الله وسنة رسوله.

هذا مختصر القضية، ولولا أنكم من طلبة العلم والممارسين الذين يكتفون بالإشارة وأصول المسائل لكتبت لكم رسالة مبسوطة، ونقلت من نصوص أهل العلم وإجماعهم ما يكشف الغمة ويزيل اللبس، ومن بقي عليه إشكال فليرشدنا -رحمه الله-، ولو أنكم أرسلتم بما عندكم مما يقرر هذا أو يخالفه، وصارت المذاكرة لانكشف الأمر من أول وهلة، ولكنكم صممتم على رأيكم وترك النصيحة ممن كان عنده علم، ووقع اللبس والخلط والمراء والاعتداء في دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وهذا بسبب سكوت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفقيه، وعدم البحث، واستغناء الجاهل بجهله، واستقلاله بنفسه.

وبالجملة فهذا الذي نعتقد وندين الله به، والمسترشد يذاكر ويبحث، والظالم والمعتدي حسابنا وحسابه إلى الله الذي عنده تنكشف السرائر، وتظهر مخبئات الصدور والضمائر، يوم يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور.

وأما ما ذكرتم من التنصل والبراءة مما نسب في حقي إليكم، فالأمر سهل، والجرح جبار، ولا حرج ولا عار، وأوصيكم بالصدق مع الله، واستدراك ما فرطتم فيه من الغلظة على المنافقين الذين فتحوا للشر كل باب، وركن إليهم كل منافق كذاب، وتأمل قول الله تعالى بعد نهيه عن موالاة المشركين: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ}[1].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

(١) سورة آل عمران آية ٣٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الخامس

فضل الاجتهاد[1]

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد،،

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) أخرجه البخاري في كتاب "الاعتصام" ومسلم في "الأقضية" وأبو داود في "الأقضية" والترمذي في "الأحكام" والنسائي في "القضاء" وابن ماجه في "الأحكام" والإمام أحمد في عدة مواضيع في مسنده.

سند الحديث:

في البخاري حدثنا عبدالله بن يزيد المقرئ المكي حدثنا حيوه بن شريح حدثني يزيد بن عبدالله بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص ثم ذكر الحديث.

قال فحدثت بهذا الحديث أبا بكر بن عمرو بن حزم فقال: هكذا حدثني أبو سلمه بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. مثله قال الإمام العيني وحيوه ابن شريح - بضم الشين المعجمة- ويزيد بن عبدالله بن أسامه بن الهادي ومحمد بن إبراهيم ابن الحارث التميمي المدني التابعي ولأبيه صحبه، وبسر -بضم الباء الموحدة- ابن سعيد أبو قيس من الفقهاء في الطبقات اسمه سعد وقال البخاري: لا يعرف له اسم، وتبعه الحاكم أبو أحمد،وجزم ابن يونس في تاريخ مصر بأنه عبدالرحمن بن ثابت، وهو أعرف بالمصريين من غيره، وليس لأبي قيس هذا في البخاري إلا هذا الحديث وفي هذا السند أربعة من التابعين، أولهم يزيد بن عبدالله، والحديث أخرجه مسلم عن يحيى بن يحيى

---

(١) نشر في جريدة الجزيرة عدد ٦١٠٥ في ١٤٠٩/١١/١٣هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وغـــيره. وأخرجه أبو داود عن القواريري. وأخرجه النسائي عن إسحاق بن إبراهيم. وأخرجه ابن ماجة عن همام بن عمار.

شرح الحديث:

قولـــه: (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب) وفي رواية أحمد فأصاب، قال القرطبي: هكذا وقع في الحديث، بدأ بالحكم قبل الاجتهاد، والأمر بالعكس فإن الاجتهاد يتقدم الحكم إذ لا يجوز الحكم قبل الاجتهاد اتفاقاً، لكن التقدير في قوله "إذا حكم" إذا أراد أن يحكـــم فعند ذلك يجتهد، قال: ويؤيده أن أهل الأصول قالوا: يجب على المجتهد أن يجـــدد النظر عند وقوع النازلة ولا يعتمد على ما تقدم له لإمكان أن يظهر له خلاف غيره. انتهى. ويحتمل أن تكون "ألفا" تفسيرية لا تعقيبية. وقوله "فأصاب" أي صادف ما في نفس الأمر من حكم الله تعالى قوله: "ثم أخطأ"، أي ظن نفس الأمر من حكم الله تعـــالى في جهته فصادف أن الذي في نفس الأمر بخلاف ذلك، فالأول له أجران، أجر الاجـــتهاد وأجر الإصابة، والآخر له أجر الاجتهاد فقط. يبين كيفية وقوع الخطأ في الاجتهاد ما ورد في حديث أم سلمه إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض.. الخ. الحديث ويفيد هذا الحديث أنه لا يلزم من رد حكمه أو فتواه إذا اجتهد فأخطأ أنه يأثم بذلك بل إذا بذل وسعه أجر فإن أصاب ضوعف أجره، لكن لـــو أقـــدم فحكم أو أفتى بغير علم لحقه الإثم. قال ابن المنذر: وإنما يؤجر الحاكم إذا أخطـــأ إذا كـــان عالماً بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالماً فلا. واستدل بحديث "القضـــاة ثلاثة" -وفيه- (... وقاضٍ قضى بغير حق فهو في النار، وقاضٍ قضى وهو لا يعلم فهو في النار) وهو حديث أخرجه أصحاب السنن عن بريده بألفاظ مختلفة، ويؤيد حديـــث الـــباب ما وقع في قصة سليمان في حكم داود عليهما السلام في أصحاب الحـــرث. قال ابن القيم: إنما يؤجر المخطئ على اجتهاده في طلب الحق، لأن اجتهاده عبادة، ولا يؤجر على الخطأ، بل يوضع عنه الإثم فقط، وهذا فيمن كان من المجتهدين جامعاً لأدلة الاجتهاد، عارفاً بالأصول وبوجوه القياس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الإمام العيني في "الفيض" وقد كان يخطر بالبال أنه ماذا يقولون إذاً في حديث "الحسنة بعشر أمثالها" حتى وجدت في حديث عند أحمد في مسنده أن له الأجر بعشر أمثاله، وحينئذٍ تبين أن ما عند الترمذي بيان للأجر الأصلي، وما عند أحمد بيان للفضل.

الاختلافات:

قال النووي في "شرح حديث مسلم": وقد اختلف العلماء في أن كل مجتهد مصيب أم أن المصيب واحد، وهو من وافق الحكم الذي عند الله تعالى والآخر مخطئ لا إثم عليه لعذره والأصح عند الشافعي وأصحابه أن المصيب واحد، وقد احتجت الطائفتان بهذا الحديث، أما الأولون القائلون كل مجتهد مصيب فقالوا: قد جعل للمجتهد أجر فلولا إصابته لم يكن له أجر. وأما الآخرون فقالوا: سماه مخطئًا، ولو كان مصيباً لم يسمه مخطئًا، وأما الأجر فإنه حصل له على تعبه في الاجتهاد. قال الأولون: إنما سماه مخطئًا لأنه محمول على من أخطأ النص أو اجتهد فيما لا يسوغ فيه الاجتهاد كالمجمع عليه وغيره، وهذا الاختلاف إنما هو في الاجتهاد في الفروع. وأما أصول التوحيد، فالمصيب فيها واحد بإجماع من يعتد به ولم يخالف إلا عبدالله بن الحسن العنبري، وداود الظاهري، فصوبا المجتهدين في ذلك أيضاً قال العلماء: الظاهر أنهما أرادا المجتهدين من المسلمين دون الكفار.

واختلفوا في الاجتهاد فقال الصنعاني -رحمه الله-: واستدلوا بالحديث على أنه يشترط أن يكون الحاكم مجتهداً قال الشارح وغيره وهو المتمكن من أخذ الأحكام من الأدلة الشرعية قال: ولكنه يعز وجوده بل كاد يعدم بالكلية ومن شرطه أن يكون مقلداً مجتهداً في مذهب إمامه ومن شرطه أن يتحقق أصول إمامه وأدلته وينزل أحكامه عليها فيما لم يجده منصوصاً من مذهب إمامه. أ.هـ

قال الصنعاني: ولا يخفى ما في هذا الكلام من البطلان وإن تطابق عليه الأعيان، وما أرى هذه الدعوة إلا من كفران نعمة الله فإنهم أعني المدعين لهذه الدعوة والمقررين لها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مجتهدون، يعرف أحدهم من الأدلة ما يتمكن به الاستنباط، ويدل لذلك قول الشارح فمن شروط أي قول أن يكون مجتهداً في مذهب إمامه، وأن يتحقق أصوله وأدلته وينزل أحكامه عليها فيما لم يجده منصوصاً من مذهب إمامه فإن هذا هو الاجتهاد الذي حكم بكيدودة عدمه بالكلية وسماه متعذراً فهلا جعل هذا المقلد أمامه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عوضاً عن إمامه وتتبع نصوص الكتاب والسنة عوضاً عن تتبع نصوص إمامه والعبارات كلها ألفاظ دالة على معان فهلا استبدل بألفاظ إمامه ومعانيها ألفاظ الشارع ومعانيها ونزل الأحكام عليها إذا لم يجد نصاً شرعياً عوضاً عن تنزيله على مذهب إمامه فيما لم يجده منصوصاً، تالله لقد استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير من معرفة الكتاب والسنة إلى معرفة كلام الشيوخ والأصحاب وتفهم مرامهم والتفتيش عن كلامهم ومن المعلوم يقيناً أن كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ أقرب إلى الفهم وأدنى إلى إصابة المرام فإنه أبلغ الكلام بالإجماع وأعذبه في الأفواه والأسماع وأقربه إلى الفهم والانتفاع ولا ينكر هذا إلا جلمود الطباع ومن لا حظ له في النفع والانتفاع.

ما يستفاد من الحديث:

١- رحمة الله بأمة محمد ﷺ حيث لم يؤاخذهم بالخطأ غير المتعمد لهذا الحديث، ولحديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)[1].

٢- حث الإسلام على الاجتهاد بالنظر في النصوص وإعمال العقل فيما وافق الشرع.

٣- كرم الله وإحسانه إلى عباده حيث أثاب المجتهد على اجتهاده وضاعف الأجر للمصيب.

---

(١) في رواية: إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان. رواه ابن ماجه طلاق ١٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- إن الاجتهاد يشترط فيه أن يكون من عالم بالكتاب والسنة، وخاصةً فيما يتعلق بالمسألة التي يجتهد فيها.

٥- إن اجتهاد غير العالم بأدلة المسألة من الكتاب والسنة غير مقبول بل مردود عليه وهو آثم.

٦- إنه يجب على المسلمين أن يجتهدوا فيما جد من المسائل العصرية مثل أحكام عقود التأمين وطفل الأنبوب وغيره ولا يقفوا مكتوفي الأيدي.

٧- إن الاجتهاد يكون في المسائل الفقهية، وأما العبادات والعقائد فقد بينهما الله سبحانه وتعالى ووضحهما رسوله ﷺ، ولم يترك لأحد مجالاً في الاجتهاد فيهما ولو كان ذلك لتشعبت الأهواء بالدين وكثر الاختلاف والشر.

هذا وما توفيقي إلا بالله -والله أعلم-

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال السادس

حكم المسح على الخف والجورب إذا كان فيه خرق يسير[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

أما الخف إذا كان فيه خرق يسير ففيه نزاع مشهور.

قال أبو حنيفة ومالك: يجوز المسح عليه، ومذهب الإمام الشافعي والإمام أحمد أنه لا يجوز المسح عليه.

وحجتهم أن الأصل في القدم الغسل لأمر الله تعالى في سورة النساء بغسل القدمين إلى الكعبين، ولكن لما ستر القدم بالخف والجورب جاز المسح عليهما تخفيفاً على المسلمين.

فإذا انكشف بعض القدم بالخرق في الجورب وجب غسله لأنه زال عنه رخصة المسح لانكشافه ولا يمكن أن يغسل جزء ويمسح جزء، فوجب غسل كافة القدم، لئلا يجمع بين البدل والمبدل (بين المسح والغسل). "فتاوى ابن تيمية ص٢١٢"

واحتج ابن تيميه لمن أجاز المسح على الخف المخرق بقوله:

والصحابة كان فيهم فقراء كثيرون، وكانوا يسافرون وإذا كان كذلك فلابد أن يكون في بعض خفافهم خروق. "فتاوى ابن تيميه ص٢١٢"

فدليلهم إذن ظني وليس لديهم دليل نصي قطعي الدلالة، ويجاب عن هذا ابن تيمية أنه على فرض أن بعض الصحابة توجد في خفافهم خروق للفقر والحاجة فإنه يباح لهم ذلك للحاجة والضرورة.

كما أبيح للمحرم الذي لا يجد إحراماً أن يلبس السراويل وهي مخيطة. "فتاوى ابن تيمية ص١٩١"

---

(١) نشر في ١٤١٠/١١/٦هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأيضاً كان فقراء الصحابة يصلي أحدهم في الثوب الضيق حتى أنهم كانوا إذا سجدوا تقلص الثوب فظهر بعض العورة.

وكان النساء نهين عن أن يرفعن رؤوسهن حتى يرفع الرجال رؤوسهم، لئلا يرين عورات الرجال من ضيق الأزر، مع أن ستر العورة شرط في الصلاة ولكن أبيح لهؤلاء للضرورة، وهكذا الخف المخرق، فمن وجد خفاً سليماً فلا يتركه إلى الخف المخرق. هذا بالنسبة للمسح على الخف (الكنادر).

وأما المسح على الجورب المخرق فلم يرد أن أحداً قال به وفهم من كلام شيخ الإسلام ابن تيميه جواز ذلك ولم أعلم أحداً قال به إلا هو اجتهاداً منه ولم يرد نص في ذلك.

كما اجتهد في فتواه بجواز المسح على الخف لمدة أسبوع أو أكثر للضرورة. بل واجتهد في فتواه بجواز المسح على النعلين قياساً على الجوربين. حيث قال في ص٢١٤ بعد أن أورد أثراً لم يثبت: (وهذا الحديث إذا لم يثبت فالقياس يقتضي ذلك فإن الفرق بين الجوربين والنعلين إنما هو كون هذا من صوف وهذا من جلود، ومعلوم أن مثل هذا الفرق غير مؤثر في الشريعة).

وشيخ الإسلام ابن تيميه من العلماء المجتهدين الذين إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر. وكما قال بعض العلماء ما ورد في القرآن والسنة فعلى الرأس والعين. وأيضاً ما ثبت عن الصحابة، وأما التابعون فهم رجال ونحن رجال.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقال السابع

القنوت في النوازل![1]

روى الإمـــام الـــبخاري في الجامع الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (قـــنت رســـول الله ﷺ بعد الركوع شهراً. أراه كان بعث قوماً يقال لهم القراء زهاء سبعين رجلاً إلى قوم من المشركين دون أولئك وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد. فقـــنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو عليهم) وروى بسنده (قال: قنت النبي ﷺ يدعو على رعل وذكوان) وروي عن أنس أيضاً قال: (كان القنوت في المغرب والفجر)[2].

وخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سلمة أن أبا هريرة حدثهم أن النبيﷺ قنت بعد الركعة في صلاة شهراً إذا قال سمع الله لمن حمده يقول في قنوته اللهم نج الوليد بن الوليد اللهم نج سلمة بن هشام اللهم نج عياش بن أبي ربيعة اللهم نج المستضعفين من المؤمنين.

الـــلهم أشـــدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قال أبو هريـــرة ثم رأيـــت رسول الله ﷺ ترك الدعاء بعد. فقلت: أرى رسول الله ﷺ قد ترك الدعاء لهم قال: فقيل وما تراهم قد قدموا.

وروي عـــن سلمة بن عبدالرحمن أنه سمع أبا هريرة يقول: (والله لأقربن بكم صلاة رسول الله ﷺ) فكان أبو هريرة يقنت في الظهر والعشاء الآخرة وصلاة الصبح ويدعو للمؤمنين ويلعن الكفار وروي عن أنس بن مالك قال: (دعا رسول الله ﷺ على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً يدعو على رعل وذكوان ولحيان وعصية عصت الله ورسوله).

---

(١) نشر في مجلة اليمامة العدد ١١٤٦ – الأربعاء ٢٠ شعبان ١٤١١هـ.

(٢) انظر فتح الباري ص٤٩٠ الطبعة الأولى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال أنس أنزل الله عز وجل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً قرأناه حتى نسخ بعد أن (بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه)[1].

فدلت هذه الأحاديث على أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو على قبائل من العرب غدرت بسبعين قارئاً من أصحابه. وقد نص علماء الحنابلة على أن الذي يقنت هو الإمام أو من ينيبه الإمام في الفتوى في الأمور الشرعية ولم يثبت أن أبا بكر رضي الله عنه قنت رغم أنه مر عليهم أيام عصيبة جداً. خاف المسلمون فيها من الهلكة أيام الردة.

أما عمر رضي الله عنه فإنه قنت في صلاة الفجر فقال: (بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله. نشكرك ولا نكفرك. بسم الله الرحمن الرحيم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونرجو رحمتك ونخشى عذابك الجد بالكفار ملحق. اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك).

وأكثر علي بن أبي طالب رضي الله عنه من القنوت في صلاة الفجر فأنكر ذلك الناس فقال إنما استنصرنا على عدونا.

قال الموفق بن قدامة في "المغني": (فإن نزل بالمسلمين نازلة فللإمام أن يقنت في صلاة الصبح).

نص عليه أحمد قال الأثرم: سمعت أبا عبدالله سئل عن القنوت في الفجر؟

فقال: إذا نزل بالمسلمين نازلة قنت الإمام وأمن من خلفه ثم قال: مثل ما نزل بالمسلمين من هذا الكافر -يعني بابك[2]- قال أبو داود: سمعت أحمد يسأل عن القنوت في الفجر؟ فقال: لو قنت أياماً معلومة ثم يترك كما فعل النبي ﷺ أو قنت على الخرمية أو قنت على الدوام والخرمية ثم أصحاب بابك وبهذا قال أبو حنيفة والثوري وذلك لما

---

(١) صحيح مسلم ص١٣٦ ج٢.

(٢) بابك الخرمي ثار في شمال الدولة الإسلامية في عصر الإمام أحمد وقد استمر حربه عشرين سنة إلى أن قتل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ذكرنا أن النبي ﷺ قنت شهراً يدعو على حي من أحياء العرب ثم تركه وأن علياً قنت وقال إنما استنصرنا على عدونا هذا ويقول في قنوته نحواً مما قال النبي ﷺ وأصحابه وروي عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول في القنوت اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم اللهم العن كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك اللهم خالف بين كلمتهم وزلزل أقدامهم وأنزل بهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين. بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك. ولا يقنت في غير الصبح من الفرائض.

قال عبدالله عن أبيه: كل شيء يثبت عن النبي ﷺ في القنوت، إنما هو في الفجر ولا يقنت في الصلاة إلا في الوتر والغداة إذا كان منتصراً يدعو للمسلمين. وقال أبو الخطاب: يقنت في الفجر والمغرب لأنهما صلاتا جهر في طرفي النهار وقيل يقنت في صلاة الجهر كلها، قياساً على الفجر[1].

(١) المغني لابن قدامة ص١٥٥ ج٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الثامن

أحوال الجزيرة قبيل الملك عبدالعزيز[1]

لا يتضح الحجم الحقيقي لإنجازات الملك عبدالعزيز في تغيير أوضاع الجزيرة العربية تغييراً جذرياً، ما لم يطلع المرء على أحوال الجزيرة قبيل تحركه التاريخي -يرحمه الله- وهو ما تحاوله هذه الدراسة.

أولاً: الحالة الدينية:

لم تكن الجزيرة العربية قبيل عهد الملك عبدالعزيز من الناحية الدينية إلا صفحة في كتاب الأمة الإسلامية كلها، أصابها ما أصاب الجميع من اضمحلال في القوة ووهن في العقيدة وتفشي الجهل والبدع، والضلالات، وفي النهاية كانت تسير في مؤخرة ركب العالم وكأن المسلمين يعيشون على هامشه.

إلا أن بعض أهل الجزيرة قد وفقهم الله تعالى لتصحيح العقيدة واتباع مذهب السلف، وترك البدع والشركيات وذلك للأثر الذي تركته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب المباركة في نفوسهم حيث غيرت كثيراً من عقائدهم المنحرفة واستقام سلوكهم على يد إمام الدعوة المجدد -رحمه الله- وقد استمروا بعد ذلك المنهج المستقيم في العقيدة وأصبح منهجهم سليماً اقتداءً بالصفوة الأولى من سلف أمة محمد ﷺ، فهم يعبدون الله وحده لا يشركون به شيئاً في العقيدة أو العمل.

ولا شك أن فترات الضعف التي مرت بها منطقة الجزيرة العربية قد أثرت في مسار الدعوة وأفقدها العنصر الأساسي في تماسكها والتزام الناس بها وهو قوة آل سعود وتأييدهم لها فعندما دمرت الدرعية عام ١٢٣٣هـ وأيضاً عندما انهارت الدولة في دورها الثاني عام ١٣٠٨هـ مرت البلاد بفترة ضياع، واضطراب عاشت فيها حالة من

---

(١) نشر في مجلة اليمامة العدد ١٤٢٢ السبت ٩ جمادى الأولى ١٤١٧هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفوضى الأمنية والاجتماعية، لعدم الالتزام بالأحكام الشرعية وعزوف الكثير من الناس عن العلم وتلقيه.

أما بالنسبة لمنطقة الحجاز فعلى الرغم من أن أهلها كانوا أسعد حظاً من الناحية المادية، حيث كان أثرياء المسلمين يضعون قسماً من أموالهم وقفاً للحرمين، وكان المسلمون في الهند ومصر، والبلاد العربية الأخرى يبعثون بالصدقات إلى أهل الحجاز قبل العهد السعودي الأخير، رغم هذا الثراء المادي نسبياً فإنهم كانوا أسوأ حالاً من الناحية الدينية -قبل أن يوحد الملك عبدالعزيز نجداً والحجاز- حيث جلب حكامهم -عن طريق اتصالهم بالسلاطين العثمانيين- عادات وتقاليد أعجمية لا تقرها الشريعة الإسلامية نتجت عن الجهل بالدين بسبب اختلاط هؤلاء الناس بالوافدين إلى الحجاز من مختلف أقطار العالم مما جعل الحجاز مرتعاً خصباً للبدع والخرافات وسوقاً رائجة للطوائف والضلالات(٢).

وان الوضع أكثر سوءاً في المناطق التي لم تتأثر مباشرةً بالدعوة.

وقد انتشرت بين عرب الحجاز وغيرهم ممن وقع تحت سلطة الدولة العثمانية وثنية القبور وصرف شيء من العبادة لغير الله، بل وجدت تربة خصبة لزرع البدع، والخرافات تتوافر فيها جميع وسائل نموها وازدهارها لهذه العقيدة الوثنية سواء في مكة التي فيها قبر خديجة زوج النبي ﷺ أو في المدينة التي فيها قبر النبي ﷺ، وصاحبيه أبي بكر، وعمر، وفيها قبور كثير من الصحابة رضي الله عنهم في مقبرة البقيع، وقبور شهداء أحد قرب جبل أحد وغيرها حتى جدة استطاع الدجالون أن يجعلوا فيها مزاراً زعموا أنه قبر أم البشر حواء(٣).

إلا أن هذه الوثنية انتهت بظهور الملك عبدالعزيز الذي أخذ على عاتقه تجديد ما اندثر من معالم هذه الدعوة، وتوحيد البلاد في ظل دولة إسلامية طهرها من بقايا هذه الشركيات(٤).

كما أننا لا ننسى -ونحن نتكلم عن الحالة الدينية قبيل عهد الملك عبدالعزيز- أن نشير

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى دور العلماء في التحول العقدي، والسلوكي للناس وذلك لأن المسلمين حقاً يحبون العلماء ويحترمونهم ظاهراً وباطناً، فهم لا يقدمون على العالم أحداً من الناس. وعندهم أن كلمة العالم من أشرف الكلمات منـــزلة وهذا الحب وهذا الاحترام يجعل المسلمين ينقادون لتعاليم هؤلاء العلماء ويقتدون بهم.

ومـــن أظهر الأدلة على هذه الحالة الدينية في الجزيرة العربية ما قاله الشيخ سعد بن عتـــيق وبعض العلماء(٥) في وصف الوضع قبيل الملك عبدالعزيز وذلك في رسالة إلى زعماء الإخوان نشرت بينهم يذكرونهم فيها بنعمة الله في تحسن الحالة الدينية في عهد الملك عبدالعزيز ذكر فيها قالوا: "اعرفوا نعمة ربكم واشكروه عليها فإنكم كنتم أولاً في جاهلـــية عريضـــة، وحالـــة عن الحق بعيدة، رؤساؤكم أكثرهم طواغيت كبار، وعوامكم جفاة أشرار لا تعرفون حقائق دين الإسلام ولا تعلمون من الحق إلا بما تهوى أنفســـكم، مع ما كان بينكم من سفك الدماء ونهب الأموال وقطيعة الأرحام وتعدي حدود الله وغير ذلك من المحرمات وعظيم المنكرات، ثم هداكم الله لمعرفة دينه والعمل بتوحيده وسلوك مسلك أهل الإسلام والتوحيد،وانتشرت بينكم كتب السنة والآثار ومصنفات علماء الإسلام"(٦).

ثانياً: الحالة العلمية:

كانـــت بعض مساجد الجزيرة(٧) تشهد حلقات ودروساً علمية كما عرفت الرحلة في طلب العلم في الجزيرة العربية وكانوا يتأدبون في أخذ العلم، وقد تميز وسط الجزيرة بصـــفاء في العقـــيدة واستقامة في المنهج، واعتماد العالم والمتعلم منهم على كتاب الله العزيز والسنة المطهرة كمصدر أساسي لأخذ العلم والتطبيق العلمي.

وكان في البلاد بقية من العلماء(٨) تعلموا على أيدي أئمة الدعوة وتلاميذهم الذين قامـــت علـــيهم دعائم الدولة السعودية في سابق عهدها، وكان أغلب هؤلاء العلماء يتمتعون بذاكرة قوية حتى أن من يسمعهم يظن أنهم يقرؤون في كتاب لاعتمادهم على حفظ المتون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلا أن هؤلاء العلماء كانوا من القلة بحيث نجد أن بعض القرى لا يوجد بها من يقرأ أو يكتب لانشغال الناس بكسب العيش علاوةً على عدم الأمن وكثرة قطاع الطرق، وكان هذا مانعاً للبعض من الرحلة في طلب العلم إلى المدن التي يوجد فيها العلماء مثل الرياض ومكة والمدينة المنورة ونحوها، ومن أهم الكتب التي كانوا يهتمون بدراستها فهماً وتطبيقاً: الأصول الثلاثة(٩) ومتن الأجرومية(١٠) ومتن الرحبية (١١) وعمدة الأحكام(١٢) وكان جل اهتمامهم بالتوحيد وعلومه لا سيما توحيد الألوهية.

إلا أنه في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين عصفت الفتن بالبلاد فتعرضت لسلسلة من الصراعات الداخلية مكنت المتربصين بها من تفتيت وحدتها، واستأثر آل الرشيد بحكم بلاد نجد، وأصيبت الدعوة -أثناء غياب الحكم السعودي- بنكسة كادت تطفئ نورها في النفوس وضعف الاهتمام بتدريس العلوم.

وقد وفق الشيخ سليمان بن سحمان في تصوير ما آلت إليه الحالة الدينية والعلمية في ذلك العهد في قصيدة طويلة منها هذه الأبيات:

على الدين فليبك ذوو العلم والهدي
فقد طمست أعلامه في العوالم
وقد صار اقبال الورى واحتيالهم
على هذه الدنيا وجمع الدراهم
وأبدي أعاجيباً من الحزن والأسى
على قلة الأنصار من كل حازم(١٣)

ثالثاً: الحالة السياسية:

كان قلب جزيرة العرب في فوضى سياسية يعمها الانقسام والتناحر والحروب، فلما قامت الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ وحدت البلاد وعمها الأمن والرخاء والتآلف، فلما سقطت تلك الدولة عام ١٢٣٣هـ رجعت الحال إلى ما كانت عليه أو

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أشد، إلا أن الإمام تركي بن عبدالله(١٤) سعى إلى إعادة بنائها فتمكن من توحيد نجد والإحساء، وأشاع مناخاً لا بأس به من الأمن وإقامة الدين، إلا أنه بعد وفاة الإمام فيصل بن تركي(١٥) حدث خلاف بين ابنه سعود بن فيصل وأخيه الإمام عبدالله وتقاتلا في عدة مواقع كان أهمها موقعة عين جودة(١٦) عام ١٢٨٧هـ التي انتهت بهزيمة عبدالله وتفرق جيش الإمارة، وبهذا انثل عرش الولاية وتجرأت القبائل والبلدان على الخروج على طاعة الدولة.

وفي عام ١٣٠٢هـ هجم أولاد سعود بن فيصل على عمهم الإمام عبدالله وسجنوه فتدخل محمد بن رشيد واستولى على عاصمة البلاد الرياض، وفي عام ١٣٠٨هـ ترك الإمام عبدالرحمن بن فيصل الرياض إلى الكويت فأصبحت نجد كلها تبعاً لآل رشيد وكانت بلاد نجد مدة إمارة آل رشيد تعمها الفوضى والاضطراب وذلك أنهم كانوا يرضون من أهل نجد بالطاعة الاسمية دون بسط السلطة وتحقيق الأمن في هذه البلاد.

وقد ذكر جدي الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب أنه لما توفي الأمير محمد العبدالله الرشيد في ٣ رجب ١٣١٥هـ وكان من أذكى حكام آل رشيد -تولى بعده ابن أخيه عبدالعزيز بن متعب الرشيد الذي كتب إلى بلدان نجد رسائل يقول فيها: (إن محمد العبدالله مات، وما ذهب معه إلا خرقة بيضاء، وما عندنا إلا الحافر وصنع الكافر والمخاطر في النار). ومعنى خطابه أن سلفه محمد العبدالله وإن كان قد مات فإن قواته باقية، ويتهدد من لا يعترف بولايته بالحافر، ويعني به الخيل، وصنع الكافر ويعني به البنادق.

إن هذه الأحوال المتزعزعة في نجد جعلت الناس يتطلعون إلى قيادة قوية تقيم الأمن وتفصل بين الناس بالعدل، وأما في الحجاز فكان الشريف حسين(١٧) تابعاً للأتراك والسلطة مضطربة غير منظمة فللوالي العثماني حكمه وللشريف حكمه ولشيخ الحرم حكمه ولرئيس العسكر حكمه وذلك في مكة والمدينة معاً. كذلك كانت في الاحساء حامية تابعة للدولة العثمانية. وكان الأعراب يعيشون في هذين الإقليمين ويسلبون

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأموال مع تغاضي الدولة العثمانية عنهم.

أمـــا جنوب الجزيرة (عسير – جيزان) فكان يتبع الدولة العثمانية تارة ويستقل بها أهلها تارة أخرى كإمارة آل عايض والإدريسي.

وكان يسودها الاضطراب السياسي مما تسبب في الحروب والفتن بين القبائل وانتشار الجهل والخرافات، إلى أن تم للملك عبدالعزيز السيطرة على تلك المنطقة، فوطد فيها الأمن والاستقرار، واجتث دابر الفساد والفوضى التي عمت منطقة الجنوب.

وتعرضت الجزيرة العربية لمؤامرات عالمية، في إطار زعزعة العالم الإسلامي باستثمار تردي الدولة العثمانية التي أسماها الغربيون: الرجل المريض. فتلك الدول تعادي الدولة العثمانية لا شفقة على العرب بل لافتراس ما بيدها، ولم يكن يعني الدول العثمانية في عهد انحطاطها من أمر الأقاليم الداخلة في حكمها سوى أمرين: الأول: الطاعة،والثاني: الأمـــوال التي تجبى من محاصيل الشعوب عن طريق الوالي العثماني على كل منطقة أو إقليم، ولقد استطاع الملك عبدالعزيز وحده بفضل الله أن يخرج بدولة عربية إسلامية مستقلة لا يسيطر عليها أي استعمار أجنبي.

فـــبرغم أن مجـــرى الأحداث كان يتجه إلى تقسيم البلاد الإسلامية إلى دويلات أو كيانـــات لا وزن لها، استطاع الملك عبدالعزيز -بعون الله- أن يقيم دولة إسلامية بقرار إسلامي تتويجاً لحقيقة عربية أنجزتها عقيدة الإسلام، وإخلاص أتباعه(١٨).

وما جاء عام ١٣٤٩هـ إلا وقد توحدت جميع هذه البلاد، وفي عام ١٣٥١هـ صدر الأمـــر المـــلكي برقم ٢٧١٦ وتاريخ ١٣٥١/٥/١٧هـ بإطلاق اسم المملكة العربية السعودية عليها وشعارها "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

رابعاً: الحالة الأمنية:

كان الأمن في جزيرة العرب -قبل عهد الملك عبدالعزيز- مفقوداً والناس يغلب عليهم التمزق والتفرق والانقسام فيما بينهم والنـــزاع القبلي سائداً حتى بين المتجاورين في البلدان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لهـذا فقـد اضطرب حبل الأمن وازداد الخوف وعمت الفوضى والسلب والنهب والقـتل وإزهـاق الأرواح، فالحـروب تقع بين القبائل في البادية وبين القرى لأتفه الأسـباب، أو بسبب الطمع والنهب، إذ ليس هناك سلطة قوية مهيمنة تسيطر على الأمور فتردع هؤلاء عن ارتكاب هذه الأعمال.

ولا يعني الكلام عن فقد الأمن في هذه الفترة أن أهل الجزيرة كانوا عارين عن المثل العـليا والقيم والشيم النبيلة بل إنها جزء لا يتجزأ من البنية الأساسية لشخصية أهل الجزيرة العربية.

وكـانت الانقسـامات الإقليمية والتجزئة والحروب الأهلية والغزوات القبلية من الأمور الشائعة التي زعزعت الأمن قبل أن يوحد البلاد الملك عبدالعزيز -رحمه الله-.

وقد انقسمت الجزيرة العربية آنذاك إلى أقاليم منفصلة، لا رابط بينها(١٩)، وكانت الطرق مخوفة ومحفوفة بالمخاطر على عابرها من قطاع الطريق فلا ينفذ مسافر من جهة إلى جهة أخرى إلا بعد جهد مشقة(٢٠).

وقـد أثر هذا الجو الفوضوي والمضطرب على طلب العلم، فكان لا يوجد من طلبة العـلم إلا قلة أكثرهم في المدن الكبيرة حيث يوجد العلماء وحلقات العلم، كما كان يوجد في بعض القرى أناس أخذوا العلم وراثة عن آبائهم، لكن -مع ذلك- كانت الحالة الأمنية المتردية غالباً ما تمنع الناس من السفر لطلب العلم.

وكـان التـنازع من أجل الرعي والأخذ بالثأر من أشهر الأسباب التي أسهمت في زعزعة الأمن في هذه المنطقة.

نقل الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد مثالاً واقعياً لهذا التناحر والخلاف في كلامه عن أحد أودية الجزيرة فقال: وادي الجريب(٢١) من أصلح بلاد الله لرعي الإبل ويقتتل عنده قبائل العرب من أجل الكلأ.

وقـد قـتل في ذلك الوادي من رؤساء إحدى القبائل عدد كثير، منهم فلان أكبر رئيس لقبيلته في زمانه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم ذكـــر بعده أسماء سبعة من زعماء هذه القبيلة قتلوا أيضاً في هذا الوادي ثم قال: وقـــد وقعت على أثر هذا حروب كثيرة، أما القتلى الذين ليسوا برؤساء فهم كثيرون في هذا الوادي(٢٢).

أقول: هؤلاء من قبيلة واحدة قتلوا في هذا الوادي فكيف بقتلى باقي القبائل في باقي أودية الجزيرة الكثيرة. فالحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الأمن والإيمان.

لقـــد كانت قبيلة تغير على القبيلة الأخرى فجأة بدون سبب إلا أنها من قبيلة أخرى ثم تقتل رجالها وتسلب أموالها وتترك النساء والأطفال في الصحراء بلا مال ولا معيل وذلـــك يعطيـــنا صـــورة واضحة عن الحالة الأمنية في الجزيرة العربية قبل تولي الملك عـــبدالعزيز زمام الأمور، مما يدلنا على استتباب الأمن بعد توليه الحكم لم يكن بالأمر اليسير لولا عون الله وفضله.

خامساً: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية:

كـــان النظام القبلي العربي هو السائد في تلك الفترة، فكانت كل قبيلة تحتل منطقة محـــددة وتسيطر على مراعيها وموارد مياهها فلا تمر عبرها قبائل أخرى إلا بإذنها أو بقوة السلاح.

أي أن الحيـــاة القبلية ونظمها كانت أساس الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت حيث سيطرت عليها روح الغزو والمنازعات واستحكمت شريعة الغاب والقتل وكان منطق القـــوة والعـــنف والإغارة وقطع الطريق يمثل السبيل الوحيد للاستيلاء على السلطة والحصـــول على المال والثراء فكانت الغارات لا تنقطع، وكان اللصوص منتشرين في الـــبلاد، أمـــا سكان وسط الجزيرة العربية (نجد) فكان معظمهم بدواً رحلاً ينتقلون بأسرهم وحيواناتهم من مرعى إلى آخر.

والـــبعض الآخر كان يعيش في مدن صغيرة حول الواحات حيث يشتغلون بالزراعة والـــتجارة وهم أكثر استقراراً وراحة وأمناً(٢٣)، فبوجه عام كانت المعيشة في تلك الفترة قاسية للغاية وكان القوت الرئيسي هو التمر ثم يأتي من بعده البر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد تحل بالبلاد أزمات كما كانت المجاعات -أحيانا- تبلغ من القسوة درجة تجعل بعض الناس يأكلون العشب الأمر الذي حمل بعض أهل البلاد إلى الهجرة خارجها وكانت هجرتهم تنقسم إلى عدة أقسام:

أ- قسم يمتهن حرفة التجارة فيذهب إلى الشام ومصر وإلى العراق، وربما لا يتوفر لدى أحد هؤلاء التجار مال كافٍ يتاجر به لكن المعروف عن أهل نجد الأمانة والصدق في المعاملة وهذه الأخلاق كافية لأن تجعل أصحاب الأموال في هذه البلاد يدفعون لهم مالاً وافراً يعملون به على سبيل المضاربة(٢٤).

ب- هاجر بعضهم إلى الشام أو إلى الحجاز حيث انخرط في سلك الجندية في تلك البلاد.

ج- هاجر بعضهم إلى بلدان الخليج من أجل الغوص لاستخراج اللؤلؤ من قاع البحر.

سادساً: الأحوال الصحية:

انتشرت الأمراض وكانت الأوبئة تفتك بالأسر والجماعات ولا علاج لها في هذه البلاد إلا الكي بالنار وبعض الأخلاط من الأعشاب على يد شخص متطبب.

وبعض الأمراض المعدية -كالكوليرا- كانت تدخل البيت فلا تبقي فيه شخصاً واحداً على قيد الحياة إلى حد أنهم قد لا يجدون لبعضهم نعشاً يحمل عليه(٢٥) أو خرقة يكفن فيها.

أما بلاد الحجاز فكان لها وضع خاص لأهميتها المتمثلة في كونها مركزاً دينياً وتجارياً مهماً حيث كان الحجاج يتدفقون إلى هذه البلاد وكان مجيئهم يجلب كثيراً من المال لجباة الضرائب، ونتيجة لذلك كانت الحجاز اكثر غنى وتقدماً من بقية مناطق الجزيرة العربية.

باستعراض ما تقدم نعرف نعمة الله علينا الذي أبدلنا بعد الخوف أمناً، وبعد الفقر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غنى فلله الحمد والشكر والثناء وجعل سبب ذلك هو الدولة التي دستورها الإسلام مما يوجب علينا الحرص على التمسك بهذا الكيان الإسلامي وبذل المال والولد والنفس دونه وأن لا نسمح لحاقد أو حاسد أن يمسه ولو بكلمة وذلك لعدة أسباب:

١- أن الله أمرنا بالسمع والطاعة لولاة الأمر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ }[1] وقال تعالى: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ}[2].

وفي الحديث: (اسمع وأطع لأميرك وإن أخذ مالك وضرب ظهرك)[3] وفي الآخر: (من أتاكم وأمركم جميعاً يريد أن يفرق كلمتكم فاضربوا عنقه كائناً من كان)[4]، وفي حديث ثالث: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)[5].

٢- قيام هذا الكيان الشامخ على دين الله، وتأسيسه على تقوى الله عز وجل، وتطبيق شرع الله والتحاكم إليه، وإقامة التوحيد وإزالة جميع مظاهر الشرك، وتميز هذه الدولة بذلك من دون دول العالم أجمع.

٣- أن العقل يوجب علينا الولاء الكامل لهذه الدولة حيث أن الله قد حولنا بها من مجموعات بشرية متناحرة أشبه ما تكون بوحوش الغاب يأكل قويها ضعيفها كما هو الحال في بعض بلاد العالم اليوم إلى ما صرنا إليه من شعب غني متعلم ويحظى باحترام العالم أجمع.

لولا الولاية لم تامن لنا سبل وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

---

(١) سورة النساء آية ٥٩.

(٢) سورة النساء آية ٨٣.

(٣) رواه مسلم باب الإمارة ح - ٥٢.

(٤) رواه مسلم في باب الإمارة ح ٥٩-٦٣ "من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه".

(٥) رواه مسلم باب الإمارة ح٥٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(هوامش)

١- انظر ابن بشر،عثمان – عنوان المجد في تاريخ نجد، ج١/ ٣٩٠ ط٤ الرياض ١٤٠٢هـ

٢- انظـــر كتاب تاريخ مكة لأحمد السباعي ٢١٦/١، ط٦ سنة ١٤٠٤هـ نشر مكة حيث ذكر بعض البدع التي أبطلها الملك عبدالعزيز في مكة.

٣- فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ج٢٩٧/٣، ٢٩٨ بتصرف.

٤- تاريخ ابن ربيعة – تحقيق د. عبدالله بن يوسف الشبل ص٥٠.

٥- هم المشايخ: سليمان بن سحمان، صالح بن عبدالعزيز، عبدالعزيز بن عبداللطيف، عمر بن عبداللطيف، عبدالرحمن بن عبداللطيف، و محمد بن إبراهيم.

٦- ابن قاسم، الدرر السنية، ج٧-ص٣٢١-٣٢٣ مطبعة الكتب الإسلامية ببيروت ط٢ ١٣٨٥هـ

٧- وذلـــك في مساجد المدن الكبار مثل المسجد الحرام، المسجد النبوي، وجامع الرياض، وجامع الاحساء، وغيرها.

٨- مـــثل الشـــيخ عبدالله بن عبداللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ سعد بن عتيق، وغيرهم.

٩- الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- (١١١٥-١٢٠٦هـ) استنتجها من فتنة القبر وأسئلة الملائكة طبعت عدة مرات.

١٠- متن الأجرومية في علم النحو للعلامة أبي عبدالله محمد بن داود الصنهاجي المعروف بأبي أجروم، المولود في سنة ٦٧٢هـ والمتوفى سنة ٧٢٢هـ

١١- متن الرحبية في علم الفرائض للعلامة أبي عبدالله محمد بن الحسين الرحبي.

١٢- لـــلحافظ أبي محمـــد عبدالغني بن عبدالله بن علي المقدسي، في أحاديث الأحكام المتفق على صحتها.

١٣- ديـــوان سليمان بن سحمان، ص٤٥٨، الطبعة الثالثة نشر مؤسسة الدعوة الإسلامية، الرياض.

١٤- تـــركي بن عبدالله بن محمد بن سعود. كان -رحمه الله- عادلاً في الرعية حكيماً شجاعاً مقدامـــاً ســـخياً كـــريماً كـــثير الخوف من الله، استولى على جميع أنحاء نجد والاحساء والقطيـــف وعمان. قدم إليه ابنه فيصل من مصر والشيخ عبدالرحمن بن حسن، استمر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حكمه خمسة عشر سنة، وقتل غدراً سنة ١٢٤٩هـ. (سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص٢٠، مطابع الرياض سنة ١٣٨٠هـ).

١٥- فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود. استولى على الحكم بعد مقتل أبيه واستتب له الأمر أربع سنوات لكن الدولة العثمانية أوعزت لوالي مصر أن يوجه عساكره إلى نجد وقد استسلم فيصل وأبناء عبدالله ومحمد سنة ١٢٥٤هـ بعد قتال شديد، رجع من مصر ١٢٥٧هـ ، استقام له الأمر سنة ١٢٥٨هـ إلى أن توفي عام ١٢٨٢هـ (سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود ص٢٠-٢١).

١٦- جودة / بضم الجيم وإسكان الواو وفتح الدال المهملة وآخره هاء وهو منهل مياه غرب وادي المياه بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وهي بقرب خط طول ٤٩-٤٨ وخط عرض ٤٧-٢٥ (انظر - حمد الجاسر - المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، القسم الأول ص٤٣٧، الطبعة الأولى عام ١٣٩٩هـ نشر دار اليمامة).

١٧- حسين بن علي الهاشمي ولد سنة ١٢٠٧هـ في الاستانا، عينه العثمانيون أميراً لمكة سنة ١٣٢٦هـ ثم عصى على العثمانيين وتحالف مع الإنجليز ضدهم سنة ١٣٣٤هـ ، وأخرجه الملك عبدالعزيز من مكة سنة ١٣٤٣هـ مات في الأردن سنة ١٣٥٠هـ (الزركلي - الإعلام - ج٢ ص٢٤٩).

١٨- محمد جلال كشك، السعوديون والحل الإسلامي، ص٢٥-٢٦، المطبعة الفنية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ

١٩- فهد المارك، من شيم الملك عبدالعزيز، ج٣ - ص١٦٣.

٢٠- الشيخ محمد بن بليهد، الجغرافية الأدبية، ج٢، ص٣٥٥ بتصرف مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ

٢١- وادي الجريب، بجيم معجمة مكسورة بعدها راء ثم ياء مثناه ساكنة ثم باء كان يسمى قديماً الجرير، وهو من الأودية الشهيرة في عالية نجد من أوسعها حوضاً وأطولها مجرى وأكثرها روافد وأطيبها مرعى ويصب في وادي الرمة (سعد الجنيدل-المعجم الجغرافي لعالية نجد رقم ١ ص٢٩٨، نشر دار اليمامة بالرياض - بدون تاريخ طبع).

٢٢- ابن بليهد المرجع السابق ص٥٤٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٣- جورجي زيدان – تاريخ التمدن الإسلامي ج١ / ص٥٢ ، ج٤ ص ٩- ٢٧
د. مديحة أحمد – تاريخ الدولة السعودية ، ط١٥ طبعة دار الشروق ، جدة الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٢٤- المضاربة: هي أن يعطي شخص مالاً لآخر ليتجر فيه ويكون الربح بينهما حسب ما يتفقان عليه، (حاشية ابن قاسم على الروض المربع ٢٥٤/٥).

٢٥- من شيم الملك عبدالعزيز – مرجع سابق – ج٣ / ص٢٥٢، ٢٥٣ – ٢٥٧ بتصرف.

٢٦- محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص٢٦، مطابع المطوع، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ، ترجمة د. عبدالله العثيمين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال التاسع

شخصيات في الذاكرة[1]

في حضـــرة العـــلماء الأفاضـــل وذكراهم العاطرة تتلعثم العبارات عن التعبير عن حضـــورهم الأمـــثل ومكانتهم الأثيرة في النفوس والعالم العامل إنسان فعال في نسيج المجتمع، ومصباح يضيء للناس دروب الحياة، ويسهم في صياغة أنسجة الوعي والتربية والتعلـــيم وذلـــك الـــتوجه النبيل للعلماء العارفين والمعلمين الفضلاء جدير بالتقدير والإشادة والذكرى.

شخصـــيتنا واحـــد من فقهاء العصر، أسهم في التعليم والفتوى والتوعية والإرشاد والقضاء.

ولـــد الشـــيخ عـــبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز الشثري عام ١٣٠٥هـ في بلدة ((حوطة بني تميم)).

تـــلقى تعلـــيمه الأول في الكتاتيب بالحوطة، ولدى عدد من المشائخ، منهم الشيخ عبدالرحمن بن صالح الشثري، والشيخ مطلق بن صالح بن مطلق.

عمـــل فترة من الزمن في التجارة، ثم انتقل من بلدة الحوطة إلى الرياض للتوسع في طـــلب العـــلم لدى عدد من علماء عصره، ومنهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سليمان بن سحمان - رحمهم الله-.

قام حفيده الدكتور محمد بن ناصر بن عبدالعزيز الشثري بتأليف كتاب يتناول سيرة جده الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب ورحلته العلمية والعملية، وحياته الاجتماعية بعنوان: [إتحاف اللبيب في سيرة الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب].

---

(١) من كتاب "شخصيات في الذاكرة" للأستاذ عبدالله الحميد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يتحدث لنا الدكتور محمد الشثري عن الجانب التربوي والعلمي والعملي للشيخ عبدالعزيز أبو حبيب الشثري -رحمه الله-[1].

[الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب الشثري يرجع نسبه إلى قبيلة قحطان، القبيلة المشهورة في الجزيرة العربية. وكان أجداد شيخنا بإمارة أفلاج اليمامة حتى بداية القرن الحادي عشر الهجري، حيث انتقلوا إلى بلدة الحوطة، وقد اشتهر من أجداده علماء أجلاء.

ولد شيخنا في الحوطة عام ١٣٠٥هـ وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في بلده، ثم انتقل إلى الرياض حيث درس على كبار العلماء مثل الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ عبدالله بن راشد، وكان من زملائه في تلك الفترة سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالله العنقري، وفي سنة ١٣٣٧هـ عينه الملك عبدالعزيز قاضياً لقبائل قحطان في نجد والمهاجرة في وادي الرين وما حوله، وكانت هذه القبائل في تلك السنة قد تركوا البادية وأقبلوا على تعلم الدين. وكان شيخنا رحمه الله ينتقل بينهم من قرية إلى قرية معلماً ومرشداً محتسباً ما ناله في سبيل الله من تعب وصعوبات في تفهيم العوام وتفقيههم، وكانت دروسه اليومية من الصباح إلى الظهر، ومن المغرب إلى العشاء واستمر على هذا طول مكثه في الرين سبعاً وثلاثين سنة، فنفع الله به خلقاً كثيراً. وفي عام ١٣٧٣هـ نقله الملك سعود للتدريس في كلية الشريعة بالرياض واستمر على طريقته في التدريس في بيته وفي مساجد الرياض وقد تخرج عليه مجموعة من العلماء منهم سماحة الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ نائب المفتي العام للمملكة[2]، والشيخ عبدالله بن جبرين، والشيخ عبدالله المحمود قاضي قطر، وابنه والدي معالي الشيخ ناصر الشثري المستشار بالديوان الملكي.

---

(١) حديث مسجل يوم الأربعاء ١٤١٩/٢/٩هـ.

(٢)هذا الحديث عندما كان سماحته نائباً لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- ثم تولى الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ رئاسة الإفتاء بعد وفاة ابن باز في آخر شهر ١٤٢٠/١هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومـــن الصفات العالية التي اتصف بها الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب، الشجاعة البدنية والأدبية. أما الشجاعة البدنية فتتمثل في مشاركته في غزوات توحيد المملكة منذ عام ١٣٢٠هـ بعد فتح الملك عبدالعزيز للرياض.

أمـــا الشجاعة الأدبية فقد كان الشيخ يبذل النصح والتوجيه للخلق كافة كل فيما يتعلق بعمله ولا يحدث أحداً إلا فيما يتعلق بعمله، حتى كبار المسئولين كان يوجه إليهم النصيحة والتوجيه مبيناً لهم حكم الشرع بدليله من الكتاب والسنة، وكان يحرص على إخفـــاء النصيحة وعدم إشهارها، ولما عُرفَ عنه من نصح كان له قبول تام عند ولاة الـــبلاد لمحبتهم للناصح، وكان لا يتوقف عن بذل الشفاعة لمحتاجيها، فيبذل جاهه في قضاء حوائج الناس ومساعدة من يلجأ إليه لقاء حاجته، كما يبذل قصارى جهده في رفع الظلم عن المظلومين ومساعدة المحكومين، ويعتقد أن ذلك من الحقوق الواجبة.

وكـــان له الجاه والمنـــزلة عند الملوك وأبنائهم ويعترفون بأهليته لذلك ومن أخلاقه رحمـــه الله الكـــرم المـــنقطع النظير الذي يعرفه عنه الخاص والعام، وكان يحب البذل والســـخاء والإنفاق على المعوزين والأقارب والأصحاب والضيوف خاصةً في أوقات الحاجة ومواسم الخير.

وكـــان يقـــول: الذي أنفق أحب إلي من الذي أبقى، مع أن موارده كانت محدودة. وكان يشارك في الدعوة إلى الله من خلال إلقاء الدروس والمواعظ ورحل مراراً للدعوة إلى الله وشـــارك في تأسيس العديد من المساجد وبنائها، كما كتب العديد من المواعظ التي يرسلها إلى البلدان المجاورة، وله عدد من المؤلفات بعضها يتعلق بالعقيدة، وبعضها يتعـــلق بالأذكـــار وبعضها يتعلق بالمواعظ، كما له مشاركة في الفتاوى الجماعية التي يصدرها كبار العلماء في ذلك الوقت.

وكـــان الشـــيخ يحرص على قضاء شهر رمضان في الحرم الشريف لإلقاء الدروس وإجابـــة المســـتفتين، وفي رمضـــان عام ١٣٨٧هـ اشتد عليه المرض في مكة فنقل إلى الـــرياض (المستشفى العسكري)، ولما زاره الملك فيصل أشار بنقله إلى لندن للعلاج،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فذهب إليها ثم توفي هناك في ١٧ رمضان ١٣٨٧هـ.

في عام ١٣٨٥هـ جاء أحد طلبة العلم[١] من عارفي الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب ومعه واحد من الطلبة من الشباب فعرّفه بالشيخ وقدّمه إليه وقال له: هذا الشاب طالب يدرس في المعهد العلمي وينظم الشعر الإسلامي، ولديه مجموعة من القصائد الطيبة فما كان من الشيخ أبو حبيب إلا أن رحّب بالشاعر الشاب وأطرق يصغي إليه وهو يقرأ أبياتاً من شعره في مسجد الشيخ بالعجلية وكان ذلك حافزاً لذلك الشاب إلى مواصلة طموحه العلمي والأدبي والثقافي وهذا يدل على اهتمام الشيخ بالناشئة وتثقيفهم وتعامله الأبوي معهم في التوجيه والتعليم، وقد اضطلع بمسئولية التعليم أداءً والتزاماً في مسجده وفي معهد إمام الدعوة من عام ١٣٧٤هـ حتى عام ١٣٨٤هـ، وألقى عدداً من المحاضرات في كلية الشريعة، وامتازت أسئلته باليسر والوضوح كما لوحظ في النماذج التي عرضها كتاب [إتحاف اللبيب] المؤَّلف عن شخصية الشيخ عبدالعزيز أبو حبيب.

الشيخ محمد بن حسن الدريعي واحد من طالبي العلم الذين نبغوا في مدرسة الشيخ أبو حبيب ثم زاول التربية والتعليم والدعوة والإرشاد وشارك بعلمه وجهده في سبيل التوجيه والتثقيف عبر المنابر والقنوات المتعددة.

يتحدث عن شيخنا الفاضل عبدالعزيز أبو حبيب فيقول[٢]:

[يسرني أن أتحدث عن ذلكم العلم البارز من أعلام أمتنا الإسلامية، إنه فضيلة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن محمد الشثري رحمة الله تعالى عليه.

هذا الرجل الذي عرفته من خلال ما قرأته عنه، بل ومن خلال لقاءاتي به -رحمة الله تعالى عليه- إنه رجل تميز بسعة الأفق وعمق المعرفة وقوة التحمل في ذات الله عز وجل والصدق في الكلمة وصحة الاعتقاد والعمل على ما يرضي الله عز وجل ورسوله ﷺ،

---

(١) هو عبدالرحمن بن محمد أبا حسين -رحمه الله- والشاعر هو المؤلف.

(٢) حديث مسجل معه عام ١٤١٩هـ لبرنامج [رجال في الذاكرة] بإذاعة الرياض.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما أنه يمتاز ببعد نظره في التركيز على أسباب عزة الأمة وقوتها وبقائها على الوجه الصحيح. عبدالعزيز الشثري -رحمة الله تعالى عليه- إنه ذلكم الذي يمتاز بأنه لم يقف على مسئوليته الموكولة إليه في القضاء فقط. نعم لقد كلفه الإمام الراحل الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه بأن يتولى القضاء في بلدة الرين، ولقد توجه إلى ذلك البلد وفيها من الأمور التي كان عليها الناس قبل معرفتهم بحقيقة الإسلام مما لم يوافق شرع الله ودينه، فلقد كانت تحكمهم آنذاك العوائد وما يسمى عندهم بالعرف. لكن الرجل -رحمة الله تعالى عليه- واجد ذلك الواقع بعلمه الرصين وحكمته القوية وعقله الثابت ونظرته البعيدة إلى ما تصلح به أمور العباد، واستطاع بفضل الله ثم بفضل ثقته في ربه وديـنه وعلمه، ونصحه وصدقه للأمة استطاع أن يحول أولئك القوم الشاردين إلى دائرة الحق والإيمان، فأقبلوا على الدين مستقبلين له عقيدة وعبادة وشريعة وعلماً ومعرفة مما شجع ذلك الشيخ الجليل إلى أن لا يقف عند مسئوليته في القضاء فحسب، بل لقد كان مفتياً، ولقد كان مربياً، ولقد كان معلماً، ولقد كان داعياً إلى الله، ولقد كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر. ولقد كان مهتماً بالأمة فيما تصلح به أمور دنياها وآخرتها، الإمام الشيخ عبدالعزيز الشثري -رحمة الله تعالى عليه- تعلم وعلّم وقدوته في ذلك المعلم الأعظم ﷺ، ذلكم لأنه استقى ذلك الأمر من قول رسول الله ﷺ: ((إنما بعثت معلماً)) ، ومن قوله ﷺ: ((العلماء ورثة الأنبياء)) ، هذا الذي حدا بالشيخ عبدالعزيز الشثري -رحمة الله تعالى عليه- إلى أن يجمع إلى مسئوليته في القضاء والفتيا مسئوليته عن العلم والتعليم حتى أنه -رحمة الله تعالى عليه- أول ما بدأ عمله في مجال التعليم استأجر بيتاً في بلدة الحوطة هو وفضيلة الشيخ صالح المطلق ليعلموا في ذلك البيت أبناء المسلمين القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الشرعية، ولقد عني -رحمه الله- بتأصيل علمه في أبنائه وتعليمه لأبنائه بأن بدأ بتعليم العقيدة وترسيخها في الأمة والتنبيه على ما يجرح العقيدة فضلاً عما يفسدها، وهو بذلك ينحو منحى الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه، والواقع أن الشيخ عبدالعزيز

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشثري -رحمه الله- عندما عمل عمله ذلك ساعده على ذلك :

أولاً: علمه بأن العلم الشرعي يوجب عليه أن يعلم الناس كما قال سيدنا رسول الله ﷺ: ((خيركم من تعلم القرآن وعلمه)).

ثانياً: وقوفه على حقيقة الأمة وحاجتها إلى العلم والمعرفة.

ثالثاً: شعوره بخطر الجهل وضرره على الأمة في دنياها وآخرها.

رابعاً: مما ساعده على المضي في هذا السبيل العظيم وتحمل المسئولية عن تبليغ العلم ما عرفه عن ولاة أمر هذه البلاد في شخص الإمام الملك عبدالعزيز -رحمه الله- ثم ابنه الملك سعود -رحمه الله- ثم تتابع على ذلك أبناؤه البرره الميامين منهم الملك فيصل -رحمة الله على الجميع-. ولقد تابع مسيرتهم هذه بقوة من دافعه الإيماني وعلمه، ثم بتأييد وتقوية وشد عزيمة من قبل ولاة الأمر.

مما يشهد لولاة أمرنا في هذا البلد الأمين، أنهم عرفوا قيمة العلم والعلماء، فهم شجعوه كعالم، وشجعوه كمعلم، وشجعوه كناصح للأمة، وشجعوه كناصح للدولة المسلمة المباركة.

والأمر الآخر الذي أذكره له -رحمه الله- هو دعوته إلى الله ورحلته في ذلك حتى أنه قد توجه إلى منطقة الشمال بأمر وتوجيه من الإمام محمد بن إبراهيم مفتي البلاد السعودية في زمانه، ولقد اصطحب معه مجموعة من أبنائه في العلم والإيمان كفضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله آل فريان، والشيخ عبدالرحمن بن محمد المقرن -رحمه الله-، وفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، وفضيلة الشيخ عبدالله بن زيد آل محمود -رحمه الله- وفضيلة الشيخ فهد بن حُميّن -حفظه الله-، هؤلاء الذين اصطحبهم معه في رحلته للدعوة إلى الله، اصطحبهم لأمور:

أولاً: لأنه يعلم أن مسألة الدعوة لا تقف عند رجل واحد، بل ينبغي أن يتحملها الأبناء بعد الآباء.

وكذلك لعلمه أن التربية لأبناء المسلمين إنما تعني امتداد عمل الإسلام الذي تولاه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدعاة منذ أن بُعث سيدنا محمد ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ولقد كان -رحمه الله- يتحمل في هذا السبيل -أي في سبيل الدعوة- أشياء كثيرة منها صبره على الجاهلين حتى أنه قد يسمع شيئاً مما يغضب لكنه يتحمل ويصبر قدوته في ذلك المعلم الأول محمد ﷺ. وتحمل مشقات السفر في وقت لا تعرف السيارات طريقاً إليها، فقد كان يرحل عن طريق الجمال ويشق الطرق الطويلة والوعرة، كل ذلك احتساباً للأجر عند الله عز وجل.

وأنا ممن رباهم فضيلته -رحمه الله- على مسألة الدعوة، ولقد حثني على ذلك حتى أنه شفع لي -رحمه الله- برغبة مني عندما تخرجت من كلية الشريعة عام ١٣٨٥هـ لدى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بأن ينقلوني من القضاء إلى مجال آخر وهو مجال العمل الدعوي عن طريق التعليم، وهذا ما أشكر الله عليه، ثم أشكره -رحمه الله- وأدعو له به.

ثم إنه -رحمه الله- يجمع إلى عمله في الدعوة فقهه في الدعوة فهو فقيه في الدعوة كان فقيهاً فعلاً يدعو بالنص، وكان يدعو بدليل العقل، ولقد عرفت عنه ذلك عندما سمعته وهو يقرر عن عقيدة البعث ويقول كلماته الرصينة التي يتحدث بها عن البعث يقول: أرأيتم لو أن حاكماً من الحكام وُلي أمراً من أمور الأمة ثم ألغى السجون وألغى العقوبات وألغى المكافآت. أيستقيم له أمر؟ الجواب: لا، بل تكون الحال في حالة اضطراب وتفرق وتمزق. قال ولله الحكمة البالغة وله المثل الأعلى: كيف يصح أن يخلق الله خلقاً ويكلفهم بالعبادة والأوامر والنواهي ثم لا يجعل لهم فيها جزاء وعقاب يجازي المحسنين على إحسانهم، ويعاقب المسيئين على إساءتهم. هكذا يستدل بالعقل على تقرير البعث مع ما ساقه من أدلة من قال الله تعالى وقال الرسول ﷺ.

والحقيقة أن الكلام عن الشيخ عبدالعزيز الشثري كلام يطول لكنني أذكرها لكي أقول: يجب على علماء المسلمين في كل مكان وزمان أن يعرفوا هذه الحقيقة، وأنهم مسؤولون أمام الله عن تبليغ العلم وعن الدعوة إلى الله ومسؤولون كذلك عن القدوة الصالحة والخلق الفاضل كما عرفنا ذلك في شيخنا صاحب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الذكرى -رحمة الله تعالى عليه-.

أســـأل الله أن يغفر له وتغمده بواسع رحمته، وأن يوفق ولاة أمرنا الأحياء ويغفر لمن تولى أمرنا ممن سبقهم إلى الدار الآخرة. وأحمد الله الذي جعلنا تحت مظلة هذه العقيدة والشـــريعة بقيـــادة إمام المسلمين خادم الحرمين الشريفين الذي عرفناه داعياً إلى الله ومعيناً للدعاة وموجهاً لهم وحامياً لدعوة الإسلام].

وبعد:

فضـــيلة الشيخ عبدالعزيز بن محمد الشثري ((أبو حبيب)) عاش حياة حافلة بالعلم والفقه والدعوة والعطاء بين عامي ١٣٠٥هـ و ١٣٨٧هـ -رحمه الله-.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال العاشر

تقرير الشريعة في المملكة العربية السعودية[1]

لا يستطيع الإنسان أن يستغني عن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى لأنها تحمل معها تعاليم الخالق -عز وجل- بدقتها وحكمتها، فهو يعلم سر من خلق وظاهره وباطنه، ويعلم مصلحة الفرد والجماعة في كل زمان ومكان.

وقد وضعت الدعوة الإلهية أسس الحياة على مفاهيم ثابتة وقواعد متينة لا تختلف من مكان إلى آخر ولا تتغير بمرور الزمن، ولا تفرق في تعاملها بين أجناس البشر. والدعوة الإسلامية تقرر أن الكون لمالكه يضع فيه من الشرائع والأحكام ما يراه نافعاً لهذا الإنسان الذي جعله خليفة في الأرض، وقد بعث الله للإنسان رسلاً يرشدونه إلى ما ينفعه ويبعدونه عما يضره كما قال سبحانه وتعالى: {رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}[2].

وإذا أمكن لبعض العقلاء أن يصل إلى معرفة الله والاعتقاد بوجوده والإيمان به اعتماداً على عقولهم، فليس لهم غنى عن الرسل لأن الرسل هم الصلة بين الخالق والمخلوق من حيث تبليغ الدعوة، قال الله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..}[3].

والناس أمام الدعوة قسمان:

الأول: قسم استجاب لدعوة رسول الهدى ﷺ ودخل في الإسلام فهم أمة محمد ﷺ المستجيبة (أمة الإجابة).

الثاني: قسم لم يستجب لدعوة محمد ﷺ ولم يدخل في الإسلام فهم (أمة الدعوة)(1).

---

(1) نشر في مجلة الحرس الوطني عدد شعبان ١٤١٩هـ - ديسمبر ١٩٩٨م.

(2) سورة النساء آية ١٦٥.

(3) سورة الشورى آية ١٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وبناء على هذا فالدعوة قسمان:

١- دعـــوة حفـــظ توجه للمسلمين (أمة الإجابة) للمحافظ على دينهم واستكمال النقص.

٢- دعـــوة جـــذب، وتوجه إلى غير المسلمين (أمة الدعوة) لإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام.

والدعـــوة في الاصطلاح عرّفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: "الدعوة إلى الله هي الدعـــوة إلى الإيمـــان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم بما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا.. "(٢) وعرّفها بعض المتأخرين بقوله: "إبلاغ دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال الناس" (٣).

ومن هذه التعريفات يتضح لنا شمولية الدعوة، وأنها الأسلوب والوسيلة لإيصال الحق إلى الناس.

مفهوم الدعوة السلفية

يتضـــح مفهوم "السلف" في اللغة بما جاء في لسان العرب قوله: "سلف يسلف سلفا وســـلوفاً : تقـــدم .. وقيل: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول -يعني من الصحابة ومن التابعين- السلف الصالح (٤).

السلف في الاصطلاح:

السلف هم الذين التزموا بالكتاب والسنة ومنهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان في العقيدة والشريعة عامة (٥).

ومنهج السلف في تقرير العقيدة:

١- تحكيم الكتاب والسنة الصحيحة في كل قضية من قضايا العقيدة وعدم رد شيء منها أو تأويله.

٢- الأخذ بما ورد عن الصحابـــة في بيـــان القضايـــا الدينية عامةً وفي قضايا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العقيدة خاصةً.

٣- عدم الخوض في المسائل الاعتقادية مما لا مجال للعقل فيه.

٤- الحرص على جماعة المسلمين ووحدة كلمتهم (٦).

٥- إخلاص العبودية لله ونبذ الشرك بمختلف صوره التي ظهرت عند الشيعة والصوفية والقبوريين عامة.

فالدعوة السلفية -في حقيقتها- إحياء لعقيدة السلف المشار إليها وتجديد لما اندثر منها بعدما طمست معالمها وشوهت حقيقتها وران عليها من البدع والخرافات والانحرافات الشيء الكثير.

وقد بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب حقيقة الدعوة السلفية في رسالته للشيخ عبدالرحمن السويدي أحد كبار علماء العراق فقال:

"إني والحمد لله متبع ولست بمبتدع، عقيدتي وديني الذي أدين لله به هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة"(٧).

وكان الشيخ محمد عبدالوهاب يهدف من دعوته إلى تحقيق ما يلي:

١- توجه العباد بعبادتهم لله وحده فلا يصرفون شيئاً منها لغير الله مهما كانت منزلته تحقيقاً لقوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ..}(١).

٢- تنقية العقيدة مما شابها وعلق بها من البدع والخرافات وتصحيح مسارها عن الانحرافات التي حادت بها عن حقيقتها وأصالتها، والعودة بالإسلام إلى ما كان عليه أيام الرسول ﷺ والصدر الأول من صفاء ونقاء.

٣- إقامة مجتمع إسلامي يؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهج حياة في ظل دولة إسلامية تطبق أحكام الإسلام في جميع شؤون الحياة (٨).

---

(١) سورة البينة آية ٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد استطاعت هذه الدعوة إقامة المجتمع الإسلامي الذي يطبق أحكام الإسلام ويقيم شعائره الظاهرة كالمحافظة على صلاة الجماعة وإيتاء الزكاة وتحكيم شرع الله وإقامة الحدود الشرعية. كما أحيا نظام الحسبة مما هيأ الأمن والاستقرار في البلاد.

تقرير الشريعة في العبادات والمعاملات

تتميز الشريعة الإسلامية بأنها شريعة شاملة كاملة تنظم كل الحقوق والواجبات، فهي دين ودولة تنظم حياة الفرد والجماعة تنظيماً يسعدون به في الدنيا وينالون به الأجر والنعيم الأبدي في الآخرة.

والشريعة تنتظم عدة أحكام هي:

١- العقيدة والأخلاق والعبادات.

٢- الأحكام العملية من معاملات مالية وأحوال شخصية والجرائم والعقوبات.

٣- الأحكام الدولية.

٤- الأحكام الدستورية التي تنظم علاقة الفرد بالدولة(٩).

والإسلام عقيدة، وشريعة، شريعة للعمل والحياة، شريعة للنظام والتطبيق، وشريعة للسعادة والتقدم، شريعة تنظم علاقة الإنسان بربه وتحكم علاقته بنفسه وتواكب علاقته بأفراد مجتمعه، فالإسلام دين ودولة، إيمان ونظام.

والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية أمر مرتبط بالإيمان بالله عز وجل، والشريعة من عند الله، وهذا يضمن خلوها من معاني النقص والهوى والجهل لأن الله تعالى له الكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله، وعليه فإن أثر هذا الكمال يظهر فيما يشرعه من أحكام ومناهج فلابد أن يكون كاملاً.

هذا بخلاف ما يضعه البشر من أحكام فإنه لا ينفك عن معاني النقص والهوى والجهل، إذ أنها معانٍ لاصقة بالبشر يستحيل تجردهم عنها بالكلية ومن ثم تظهر فيما يشرعونه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والشـــريعة الإســـلامية نظام شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان. والشريعة الإســـلامية تامة كاملة غطت كل الجوانب التي لم تأت في الشرائع السابقة بما أهّلها أن تكون خاتمة الشرائع.

قـــال تعـــالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا}(١).

ومـــن هذا الشمول والكمال لا حاجة لمجيء شريعة أخرى. والشريعة الإسلامية ما جـــاءت إلا لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، واستقراء نصوصها يؤكد ذلك، لأن مقصود أحكامها حفظ الضرورات -الدين والنفس والعقل والمال والنسل- وحفظ الحاجيات والتحسينات.

قـــال ابن القيم الجوزية: "إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعـــاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خـــرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمـــة إلى العبث فليست من الشريعة وإن دخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بـــين عـــباده ورحمته بين خلقه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها"(١٠).

والشـــريعة أمر ماضٍ لا يرد ولا يناقش فلا تؤخذ فيه آراء الناس ولا خياراتهم قال تعـــالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ..}(٢).

إذاً فهذه الشريعة فيها كل المقومات التي تجعلها صالحة للجميع في كل زمان ومكان وهذا من فضل الله على الإنسان.

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

(٢) سورة الأحزاب آية ٣٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جهود الملك عبدالعزيز

بنى الملك عبدالعزيز دولته وأقام نظامه في الجزيرة التي بُعث فيها الرسول ﷺ ونزل عليه الوحي فيها وجاهد فيها وأقام دولته فيها.

هو المكان نفسه الذي شهد الدولة الإسلامية للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعاً.

وإذا كان المؤرخون يقسمون تاريخ الدولة السعودية إلى ثلاثة عهود فإن وجه الشبه بين هذه العهود هو حرص الحكام والعلماء في العهود الثلاثة على الأسس والمبادئ الإسلامية وتقديم التضحيات في سبيل نشر الدعوة السلفية واتخاذ الشريعة الغراء منهجاً للبلاد.

وقد كانت جزيرة العرب قبل عهد الملك عبدالعزيز أيام حكم العثمانيين ممزقة الشمل، حيث كانت أحكام الشريعة غير مطبقة تطبيقاً سليماً أو غير مطبقة بالمرة واستبدل بها أحكام جرت مجرى العرف، وكان التمسك بها شديداً لأنها من وضع سلفهم ولأن الخلف وجدوا آباءهم معتزين بها ومطبقين لها وهذا مما جعل تغيير هذه الأوضاع البعيدة عن الإسلام أمراً في غاية الصعوبة.

ومما جاء عن الشيخ محمد رشيد أن العرب ابتلوا بالترك المتعصبين لجنسهم يحاولون هدم لغتهم فدينهم أو يكون تركاً فكان من أمرهم ما كان.

ثم ابتلي العرب (ابتلاءً حسناً) بعبدالعزيز بن سعود فالمرجو أن يكون هذا الابتلاء بالحسنات بعد السيئات وبالخير بعد الشر وعسى أن تكون عاقبة ما ذكر من الابتلاء الرجوع إلى الله تعالى بإقامة سنته في السياسة والاجتماع والعدل (١١).

وكانت هناك في منتصف القرن الثالث عشر الهجري -وما زالت حتى اليوم في كثير من البلاد الإسلامية- ظاهرة خطيرة في تاريخ الأمة الإسلامية ألا وهي ظاهرة الاحتكام إلى القوانين الوضعية وإلغاء أحكام الحدود الشرعية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وما كان القضاء ركناً من أركان الدولة وجزءًا هاماً من مقومات المجتمع وتقع عليه مسؤولية حماية الأنفس والأرواح والأموال والحقوق وتحقيق الهدوء والسلام في المجتمع، وهو رمز سيادة الأمم واستقلالها، وتاريخ القضاء في كل أمة عنوان مجدها.

لكل ذلك سنستعرض لملامح الحياة القضائية قبل تولي الملك عبدالعزيز.

فأمـــا القضاء في نجد وأقاليمها فلم يعرف فيه أي تنظيم قضائي ! حيث ظل القضاء لمـــدة ليست بالقصيرة يقوم على قضاة منفردين في أمهات المدن، فكان في كل مدينة قاضٍ يحكم بين المتخاصمين على الوجه الشرعي فإن رضيا وإلا رفع إلى الأمير لينفذ ما يراه.

ومحكمة القاضي تكون بيته و المسجد وربما كان في الطريق.

فالقضـــاء في نجـــد كان يتسم بالبساطة في الإجراءات، فكل شيء يتم شفوياً، حتى الأحكـــام لا تكتب لها صكوك إلا فيما ندر، كما كانت هذه الأحكام تصدر في نفس اليـــوم وكان مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو المذهب الذي عليه أهل نجد (١٢)، مع الأخـــذ في الغالب باختيارات وترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومـــن بعدهمـــا أئمـــة الدعوة في البلاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده وأحفاده وتلاميذه، والأخذ بالقول الذي يسنده الدليل القوي في أي من المذاهب الأربعة.

أما البوادي فقد كان هناك ما يسمى بحكم "العارفة" والعارفة كالقاضي عند الحضر، وهو فرد مشهور بالحكمة والاطلاع على العـــرف والعادات القبليـــة (١٣).

أمـــا المناطق التي كانت تحت السيطرة العثمانية فقد كان القضاء فيها منظماً، ويسير وفق أنظمة القضاء العثماني، إذ كان القضاء في الحجاز وعسير والإحساء قد ناله شيء مـــن التنظيم فيما يتعلق بترتيب المحاكم وسير الإجراءات. وقد تأثر تأثراً كبيراً بالنظام القضـــائي العثماني في طول إجراءاته المتسمة بالرتابة والبطء بالإضافة إلى ما انتابه من ضـــعف ضـــمائر بعض القائمين عليه. وكان أكثر القضاة آلة في يد شريف مكة، وفي الغالب لا يحكم في الدعوى قبل تقديم الهدايا للقاضي (١٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما عن المحاكم فلم تكن معروفة بهذا الشكل الموجود الآن ولا بهذا العدد.

وكان في مكة المكرمة محكمة كبرى تحال إليها قضايا الأوقاف والزوجية ويتولى البت فيها الأعضاء وفق ما صح من أقوال المذاهب (١٥).

وإلى جانب هذا كان يوجد نظام العشائر لأن الشريف حسين حينما أعلن الثورة على الخلافة العثمانية أصدر قراراً بإلغاء الأنظمة العثمانية والرجوع إلى النظام القبلي على العرف (١٦). وهكذا نرى الخلل الذي كان ينتاب عملية التطبيق لأحكام الشريعة والذي يصل في بعض المناطق إلى حد التعطيل وعدم التنفيذ.

لقد أدرك الملك عبدالعزيز -بثاقب نظره- أن خلق الله لا يمكن أن يصلح لهم أي نظام غير النظام الرباني وكان لذلك الإدراك الأثر الكبير في نجاح جميع أموره في شبه الجزيرة (١٧). وعندما شرع الملك عبدالعزيز في تأسيس دولته على مبادئ الدين الحنيف كانت صورة الحكم الإسلامي مهتزة في أذهان بعض الناس، لأنهم نظروا إلى الإسلام من خلال واقع المسلمين وأعمالهم وما ارتكبوه من أخطاء.

وكانت حملات التشكيك في قدرة الشريعة على مواكبة الحضارة الحديثة والوفاء بمتطلبات الحياة العصرية المتطورة محل طعن. وقد انساق وراء هذا الوهم طائفة من زعماء المسلمين وقادتهم فطبقوا القوانين الوضعية في بلادهم واتبعوا أنظمة بعيدة عن الدين.

"أما الملك عبدالعزيز فلم يصغ إلى ذلك لأنه يؤمن بالإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً للحياة، وأن التمسك بالإسلام يعصم من الضلال. فسارع إلى إنفاذ الشريعة وتطبيق أحكامها ولم يتعلل بعدم وجود فقه تفصيلي، ولم يخف من نتائج تطبيق الشريعة لأنه لا يخاف هذه النتائج إلا من نوى الظلم والفساد في الأرض، والملك عبدالعزيز رجل عُرف من سيرته بأنه محب للعدل مقيم له كاره للفساد مقاوم له"(١٨) فلم يبتدع نظاماً ولم يشرع قانوناً، بل إن ما عمله في هذا السبيل هو أنه أحيا تطبيق تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأيقظ في النفوس وازع الإيمان ففجَّر فيها القوة في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التضحية والانضباط في التزام ما شرعه الله لعباده.

وعندما دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة في السابع من جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ قال قبل سفره: "إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم والمغارم التي أرهقت كاهل عباد الله. إني مسافر إلى حرم الله لبسط أحكام الشريعة وتأييدها فلن يكون هناك بعد اليوم سلطان إلا للشرع" (١٩).

وأوصى العلماء ورجال القضاء فقال: "إن كتاب الله ديننا ومرجعنا، وسنة رسولنا ﷺ دليلنا وفيها ما نحتاجه من خير ورشاد، ونحن من جانبنا سنحرص على إقامته واتباعه وتحكيمه في كل أمر من الأمور" (٢٠).

وهكذا اتخذت المملكة العربية السعودية في عهد الملك عبدالعزيز كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دستوراً تعمل بموجبه وتطبق أحكام شريعته السمحة في جميع أنحاء المملكة وعلى الجميع من بدو وحضر، باعتبارها شريعة الله التي تدعو إلى مكارم الأخلاق وتدعو إلى التعايش الاجتماعي في أمن وسلام.

فكون هذه الشريعة من عند الله يحمل الناس على احترامها وطاعة قواعدها لأن في هذه الطاعة قربة إلى الله عز وجل، ولا يخفى على أحد أثر التعاليم وتنظيم العلاقة بينهم والقضاء على المعاملات الفاسدة. ومن ثم فقد حرص الملك عبدالعزيز على تطبيق الشريعة الإسلامية وإعادة تنظيم الولايات الإسلامية التي كانت موجودة في عصور الازدهار الإسلامية، ومنها ولاية الحسبة وولاية المظالم، فكان رحمه الله أول ولاة الأمر السعوديين الذي نظم ولاية الحسبة بشكل رسمي فأنشأ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز سنة ١٣٤٦هـ ، وفي نفس العام وضع حجر الأساس لديوان المظالم في شكله الأول الذي كان يعرف بـ"صندوق الشكاوي"، ابتداءً من سنة ١٣٥٠هـ خصص الملك عبدالعزيز ساعتين من وقته يومياً للنظر في الشكاوى المقدمة المتظلمين(٢١).

قال رحمه الله(٢٢): "الحقيقة أن الإسلام واتباع كتاب الله تعالى وما جاء به الرسول

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ﷺ، قال تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}(١). وقال عز وجل: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}(٢).

وتأكيداً لهذه الأقوال الصادرة عن الملك عبدالعزيز وضع أمام الهيئات مهمة صيانة عقيدة التوحيد وتحكيم الشريعة وقرر الملك أن تكون هذه الهيئات في جميع البلدان، وكتب إلى العاملين بهذه الهيئات المهام الموكلة في مجال العبادات والمعاملات وأحكام الشريعة.. من أهمها:

١- إلزام الناس بالمحافظة على الصلوات الخمس في جماعة وحض الناس على تعلم الدين والقيام على أهل المنكرات.

٢- جباية الزكاة وصرفها في مصارفها التي أمر الله بها والتحقق من أدائها على الوجه المشروع وإن ظهر لهم منع أحد من إخراج الزكاة تؤخذ منه على الوجه الشرعي متحرين للعدل.

٣- صيام شهر رمضان ومنع أي مظهر يتنافى مع طبيعة هذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

٤- تفقد ما ظهر من معاملات الناس وكشف التعامل الربوي منها والعقود الفاسدة، فما عثروا عليه يخالف الشرع أبطلوه وأدبوا صاحبه.

٥- تأديب من وجد منه غش أو خيانة أو بخس في المكاييل والموازين حسب الحال.

٦- النظر في الأوقاف وإيصالها إلى مستحقيها والعمل بنص الواقف ما لم يخالف نص الشرع. ومتابعة تنفيذ الأوقاف الخيرية على المساجد وطلبة العلم.

٧- مسائل المديونيات: (قلب الدين على الدين) فالمعسر يجب إنظاره إلى ميسرة ولا يجوز التحايل على ذلك، لأنه من الظلم المخالف للشريعة، والإرفاق بالمضطر لأن بيع المضطر مكروه والتضييق على المحتاج لا ينبغي بل يجب الإحسان والترفق به(٢٣).

---

(١) سورة النساء آية ٦٥.

(٢) سورة المائدة آية ٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولما توحدت الدولة ودخلت المملكة دور الدولة الحديثة في العديد من المجالات تنوعت المعاملات وظهرت نظم ومؤسسات إدارية حديثة احتاج الأمر إلى إحلال جهات متخصصة محل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استمرار قيامها بعملها في مجالها الرئيسي وهو الحسبة.

وتمثلت هذه الجهات في العديد من الجهات القضائية فبجانب القضاء الشرعي أوجد التطور الحديث في الدولة نظام القضاء التجاري، والقضاء المختص بقضايا العمال والجمارك، والقضاء الإداري المتمثل في ديوان المظالم الذي سبقت الإشارة إليه، وكان للقضاء بتعدد أنواعه وظيفة أساسية هي تنفيذ أحكام الشريعة باعتباره أساس نظام الدولة ومظهر السيادة فيها.

ولما تمكن الملك عبدالعزيز من ضم بقية أقاليم المملكة اهتم بالقضاء انطلاقاً من نظرته المتميزة بإشاعة العدل كأساس للاستقرار في ربوع الدولة. يقول رحمه الله: "أحببت أن أنظر في شؤون المحاكم الشرعية وترتيبها من الوجه المطابق للشرع"(٢٤)، فقد أولى القضاء الكثير من الاهتمام وأقامه على تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع مظاهر الحياة، وأخضع جميع القوانين التي كانت تسن في الدولة للشرع.

"كان على الملك عبدالعزيز أن يسعى جاهداً لتحقيق التوافق بين الأنظمة القضائية الموجودة وإعادة صياغتها وفق بنود الشريعة، فأوكل هذه المهمة إلى مجلس الشورى الذي كان من أهم اختصاصاته النظر في نظام المحاكم وترتيبها بصورة تضمن تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً لا يجعل مجالاً للهوى"(٢٥).

كما أصدر العلماء فتوى بتاريخ ٨ شعبان سنة ١٣٤٥هـ وجاء فيها: "وأما القوانين فإن كان موجوداً منها شيء في الحجاز فيزال فوراً ولا يحكم إلا بالشرع المطهر"(٢٦).

ومن التنظيمات التي أصدرها الملك عبدالعزيز في مجال القضاء أن عين في الرياض قاضيين للحاضرة وآخر للبادية، وهو تنظيم لم تعهده الرياض من قبل وكان بعض

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المـــناطق والقبائل في المملكة يتحاكمون إلى بعض الأعراف والتقاليد المخالفة للشرع فكـــان الملك عبدالعزيز يرسل العلماء إلى كافة المناطق والقبائل ليتولوا القضاء بينهم، فجـــاهد أولـــئك العـــلماء كـــثيراً لإزالة هذه العادات الجاهلية المترسبة في نفوسهم وحذروهـــم من التحاكم إلى غير ما أنزل الله بعقاب الله في الآخرة وعقاب ولاة الأمر في الدنيا.

كما كانت هناك عادات جاهلية أخرى مترسبة في نفوس البوادي، وكان كل قاض حريصـــاً على علاجها ومنها مسائل التحجر(٢٧) ويحصل من آثار هذا الحجر مفاسد كثيرة من إكراه أو من إعطاء ذلك المتحجر ما لا يستحقه.

وكان العلماء ينكرون هذا التحجر أشد الإنكار، وكانوا ينكرون عقود النكاح التي تقـــوم عـــلى التحجر ولا يعقدون حتى يتحققوا من الرضا والموافقة وعدم الموانع التي تفســـد مـــا بين الزوجين، كما كانوا يدفعون بهذه القضية أو المسألة المنكرة إلى ولاة الأمـــر لمحاربتها وإزالتها من النفوس، وكان القاضي يتفقد الشروط التي بين الزوجين قديماً وحديثاً ويطبقها على الشروط الشرعية فإذا كانت هناك خلافات يسيرة ليس لها تعلق بما يخالف الشرع حرص على إزالتها ورد الزوجة إلى زوجها والجمع بين الزوجين واشترط الشروط الشرعية على كل منهما.

وهكذا شرع الملك عبدالعزيز يُتبع القول العمل في مجال تطبيق الأحكام الشرعية في كل الشؤون الاجتماعية والاقتصادية..

يقول الملك عبدالعزيز رحمه الله:

"إن اعتصامي بالله وسيري على الطريقة المحمدية واقتدائي بعلماء المسلمين يدعوني - إن شاء الله تعالى- لعدم الجموح بالنفس، وقد عاهدت الله على ثلاث:

١- الدعوة لكلمة التوحيد وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل.

٢- الأخذ على يد السفيه وتحكيم السيف فيه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- الإحسان للمحسن والعفو عن المسيء(٢٨).

وبفضل هذه الجهود التي قام بها الملك عبدالعزيز تمكن العلماء في المملكة من السير بالقضاء وفق كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وما يتبع هذين المصدرين من أصول معتبرة في طرق الإثبات والاجتهاد القضائي وفق تعاليم الشريعة الإسلامية وفي ظل هذا النظام الإسلامي أقيمت الحدود وحفظت الحقوق والمصالح وتوطد الأمن.

وقد ذكر الزركلي ١٢٤ محكمة منتشرة في مدن البلاد وقراها: في مكة ثلاث محاكم وفي المدينة المنورة محكمتان وفي الطائف محكمتان وفي جدة محكمتان وكذلك في الظفير وقلوة وبيشه والخرمة وتربة ورنية والموية وعفيف ورابغ وينبع وأملج والوجه وضباء والعلا وتبوك وحقل والقريات والجوف وخيبر والمهد ومدركة.

وفي نجد محاكم: في الرياض والخرج والدلم والحوطة والحلوة والأفلاج والحريق والسليل ووادي الدواسر وضرما وحريملا وحائل وبريدة وعنيزة والبكيرية والزلفي والرس والمذنب وشقرا والمجمعة وباطن سدير والشعيب والمحمل والحائط والحويط والفوارة والداهنة ولعسيله وسنام والرين والأرطاوي والقويعية والدوادمي و مراة ودخنة وقبة والشبيكية الفواره والأرطاوية وساجر وعروى ونفى.

وفي بلاد عسير محاكم: في أبها ومحائل رجال ألمع وبني شهر وبارق قنا والبحر وظهران الحرجه وتثليث والمشرف والمجاردة وبالاسمر والأحمر والسراة وخميس مشيط ونجران.

وفي تهامة عسير: في جازان وصبيا وأبي عريش صامطة وبني مالك وقحمة وفيفا والعارضة والدرب وبيش الليث والقنفذة والعرضية والبرك.

وفي الإحساء: في الهفوف والمبرز والخبر والظهران والدمام والقطيف ورأس تنورة والجبيل وقرية والحفر.

والبلدان التي فيها قضاة للقضايا الجزئية:

بحرة والمضيق وبدر والحرث والخوية والشقيق والريث وبني حريص وهروب الغازي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والحقو وفراسان(٢٩).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: صلاح أمر السلطان بتجريد المتابعة لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وحمل الناس على ذلك فالله سبحانه وتعالى جعل صلاح أهل التمكين في أربعة أشياء:

١ – "إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر":

فإذا أقام الصلاة في مواقيتها جماعة هو وحاشيته وأهل طاعته وأجر بذلك جميع الرعية وعاقب من تهاون في ذلك العقوبة التي شرعها الله فقد تم هذا الأصل.

ثم كل نفع وخير يوصله إلى الخلق هو من جنس الزكاة، فمن أعظم العبادات: سد الفاقات وقضاء الحاجات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف.

والأمر بالمعروف هو الأمر بما أمر الله به ورسوله ﷺ من العدل والإحسان وأمر نواب البلاد وولاة الأمر باتباع حكم الكتاب والسنة واجتناب حرمات الله.

والنهي عن المنكر هو النهي عما نهى الله عنه.

وإذا تقدم السلطان بذلك في عامة بلاد الإسلام كان فيه من صلاح الدنيا والآخرة وله وللمسلمين ما لا يعلمه إلا الله، والله يوفقه لما يحبه ويرضاه (٣٠).

وهكذا يتضح لنا أن عقيدة الأمة وشريعتها هي قوام وحدتها وأن تطبيق الأحكام آية الإيمان بالله لأنه المنهج الموافق للفطرة، وأن الملك عبدالعزيز رحمه الله قد سار على هذا النهج الحميد.

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية يكاد يكون هو النظام الوحيد في البلاد العربية المستمد من الشريعة الإسلامية.

وتعتبر المملكة العربية السعودية الرائدة من بين الدول المعاصرة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كافة النواحي والقضايا والأحوال المدنية والتجارية والجنائية والأحوال الشخصية، ثم بفضل الله ثم جهود الملك عبدالعزيز، الذي لولا أن الله من عليه بالإصرار على تنفيذ أحكام هذه الشريعة السمحة لكانت البلاد اليوم فريسة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوانـــين الوضعية، ولأصاب الناس من التعقيد والتيه ما لا يعلمه إلا الله، لكن الالتزام بالأحكـــام الشرعية الإسلامية في جميع الأمور -وبخاصة في أنظمة القضاء- ربط مجتمعنا بالصدر الأول للإسلام.

والـــنظام القضائي الإسلامي نظام صالح لكل زمان ومكان بحيث يستطيع أن يساير الحياة في تقدمها وارتقائها بما يضمن العدل والنـــزاهة والإنصاف.

المراجع والهوامش

١- حســـن علي جابر، الطريق إلى جماعة المسلمين ص٤٦ الطبعة الثانية ١٤٠٨هـــ مطبعة دار الوفاء.

٢- مجموع فتاوى ابن تيمية م١٥ ص١٥٧-١٥٨.

٣- علي بن صالح المرشد، مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ص٢١ مطبعة لينـــة ، مصـــر ط١ ، ١٤٠٩هـــ.

٤- ابن منظور لسان العرب ج٩ ص١٥٨-١٥٩.

٥- د. أحمـــد سعد حمدان، مقدمة كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ج١ ص٥٣ دار طيبة.

٦- المرجع السابق.

٧- الشـــيخ محمد بن عبدالوهاب -مؤلفات الشيخ- القسم الخامس (الرسائل الشخصية) ص ٣٦ طبع جامعة الإمام ١٣٩٨هـــ الرياض.

٨- محمـــد الســـلمـــان ، دعـــوة الشـــيخ محمد بن عبدالوهاب ص٣٤ المطبعة السلفية ط١ ، ١٤٠١هـــ.

٩- د. ســـعود بن سعد الدريب - التنظيم القضائي في المملكة في ضوء الشريعة ص٢٢٤ ط١ سنة ١٤٠٣هـــ.

١٠- ابن القيم الجوزية: أعلام الموقعين، ج٣ ص١٤.

١١- محمد رشيد رضا: الوهابيون والحجاز، ص٨٧ مطبعة لبنان - مصر ط١.

١٢- حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص٣٠٠.

١٣- د. ســـعود الدريـــب، الملك عبدالعزيـــز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكـــة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ص٦١-٦٣.

١٤- حافظ وهبة: مرجع سابق ص١٥١.

١٥- د. سعود الدريب، الملك عبدالعزيز وضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة.

١٦- حافظ وهبة: مرجع سابق ص١٥١.

١٧- المهندس سليمان بن علي الشايع، الملك عبدالعزيز وأثره في التاريخ المعاصر ص٣٨.

١٨- عبدالله بن عبدالمحسن التركي: الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية: المنهج القويم في الفكر والعمل، ص٤٢، محاضرات المؤتمر العالمي من تاريخ الملك عبدالعزيز، الرياض ١٩-٢٣ ربيع الأول سنة ١٤٠٥هـ.

١٩- عبدالمنعم غلامي: حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز ص٨٣.

٢٠- المرجع السابق ص٨٤.

٢١- د. محمد كمال إمام، أصول الحسبة في الإسلام ١٤٠٥هـ.

٢٢- من خطبة الملك عبدالعزيز نشرت بجريدة أم القرى بعدد ٦٣٧ بتاريخ ١١ ذي الحجة ١٣٥٥هـ.

٢٣- من رسالة جامعة الملك عبدالعزيز إلى العاملين بهيئات الأمر بالمعروف، مخطوطة بدارة الملك عبدالعزيز رقم (١٩٢).

٢٤- جريدة أم القرى عدد ٣٢ في ١٣٤٦/١/٧هـ.

٢٥- جريدة أم القرى عدد ٣٢ في ١٣٤٤/١/١٦هـ.

٢٦- الدرر السنية ٣١٩/٥.

٢٧- التحجر: أن يحتكر القريب نكاح ابنة عمه أو قريبته فلا تنكح غيره.

٢٨- من خطبة الملك عبدالعزيز، نشرت بجريدة أم القرى العدد (٢٢٨).

٢٩- الزركلي -شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز ح١ ص٤٣٠-٤٣٢.

٣٠- مجموع فتاوى ابن تيمية م٢٨ ص٢٤٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الحادي عشر

نقاط مضيئة في حياة الشيخ محمد بن إبراهيم[1]

حين دعيت لمشاركة "الدعوة" بمناسبة مرور خمسة وثلاثين عاماً على تأسيس المجلة أجلت النظر وأمعنت الفكر فيما عساى أن أشارك به في هذه المناسبة فرأيت أن خير ما أشارك به هو ترجمة موجزة لمؤسس هذه المجلة الكريمة الذي تحمل تبعات التأسيس ومشاقه وعناءه حتى خرجت المجلة فيما نراه اليوم في حلة قشيبة وأرجو أن أكون بهذه المشاركة قد أوفيت الشيخ شيئاً من حقه علينا -غفر الله لنا وله- فأقول إن سماحة الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣١١-١٣٨٩هـ) قد جمع مميزات دعوية عديدة، إذ كان شخصية علمية له قدم راسخة في العلم، مع تحقيق فيه، وأخلاق عالية، وصرامة في الحق، وقوة في الدفاع، وحسن التعامل معها، ومن خلال هذه الصفات باشر الدعوة إلى الله من خلال الأعمال الآتية:

١- الإفتاء:

لما توفي الشيخ عبدالله بن عبداللطيف سنة ١٣٣٩هـ كان الشيخ محمد قد اتسعت مداركه، وارتقت معلوماته، وعلا ذكره، وذاع صيته، فخلف عمه في الرئاسة العلمية، فقام بما كان يقوم به عمه من أعمال، ومن أهمها الفتوى.

فبدأ بالفتوى بدون تنظيم رسمي، وقد كان يشارك فيها الشيخ سعد بن عتيق، ثم استقل بها.

وبعد تطور الأمور، وكثرة أسئلة المستفتين، ومع توافر وسائل الاتصال، أنشأ دار الإفتاء، فجعل معه علماء من خيرة العلماء، فكانت الفتاوى الرسمية تصدر عن هذه الدار. وكان ذلك عام ١٣٧٣هـ فكانت هذه الدار تحت رئاسة سماحته.

---

(١) نشر في مجلة الدعوة العدد ١٧٣٩ / ٢٢ محرم ١٤٢١هـ - ٢٧ أبريل ٢٠٠٠م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان -رحمه الله- يطيل التأمل، ويبعد النظر فيما يعرض عليه من أسئلة، واستفسارات، ولم يكن يتعجل الفتوى حتى يتحقق في الدرس، والتأمل، والنظر في عواقب الأمر، فكان يصل بعد ذلك إلى الاستنتاج الدقيق.

وقد وصل إلينا العديد من فتاوى سماحته، سواء في الدرر السنية، أو في المجموع الذي جمعه الشيخ محمد بن قاسم في فتاوى الشيخ، ورسائله التي وصلت إلى أربعة عشر جزءاً، مما يدل على جهود سماحته في الإفتاء، وما يترتب عليها من أثر علمي عظيم.

وبالنظر في هذه الفتاوى وتحليلها تبين لي ما يأتي:

- هذه الفتاوى شملت جميع شؤون الحياة مما يوضح للمدعوين شمولية الشرع.
- فتاوى الشيخ معتمدة على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.
- ليس الشيخ مقلداً، بل يفتي بحسب ما يترجح لديه من الأدلة الشرعية، وما يشاع عنه أنه لا يفتي إلا بمذهب الإمام أحمد لا يخرج عنه، ليس صحيحاً، ويدل على ذلك فتواه فيمن جامع في أول يوم من نهار رمضان، ولم يعلم أنه من رمضان حيث قال: "الحمد لله، المذهب أن عليه القضاء، والكفارة وفيه قول آخر ليس عليه كفارة لأنه معذور.. وهو الصواب إن شاء الله تعالى".
- أن المسؤولين في الدولة، يتوجهون إليه بالسؤال عما يعرض عليهم من قضايا من أجل أن تكون أعمالهم مبنية على أحكام الشرع سواء من الملك عبدالعزيز أو غيره من الملوك، أو من وزير الداخلية أو أمير منطقة الرياض أو أمير منطقة مكة والقضاة وأهل الحسبة وغيرهم من مسؤولي الدولة.
- أن الأسئلة الموجهة إليه ليست من الداخل فقط، بل وردت إليه أسئلة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من دول عديدة منها قطر والإمارات وعمان وإيران، والباكستان والهند وماليزيا والسنغال واليابان وإيطاليا وأمريكا وكندا وغينيا وغيرها من البلدان. هذه الأسئلة موجهة من علماء تلك البلاد والمسؤولين فيها.

- وبذلك يظهر أن الأسئلة والاستفسارات ليست أسئلة، بل هي مسائل حار فيها طلبة العلم، فأرسلوا إليه يطلبون رأيه فيها.
- أن الشيخ أفتى في مسائل جديدة لم تقع إلا في عصره بفتاوى رصينة متزنة تدل على علمية قوية، وشخصية فذة، ومن تلك الفتاوى: حكم زكاة الرصيد المقفل في البنك، وأحكام الورق النقدي، والتفطير بالأبر، والاقتراض من البنوك، ومسائل تغير النقد، ونحو ذلك من مسائل.

٢- التعليم:

لمس فيه مشايخه الألمعية النادرة المبكرة، والنجابة الظاهرة،فأدركوا أنه الخليفة لهم، الذي يمكن أن يطمئن إليه في مجالس العلم، فأوصى عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بابن أخيه خيراً، وذكر له ما يتمتع به من المزايا الفذة التي لا تكاد تتوافر إلا في قليل من الرجال، الذين وهبهم الله ذكاء وفطنة وجلداً وإخلاصاً، وحين توفي الشيخ عبدالله عام ١٣٣٩هـ أخذ ابن أخيه مجلسه، فبدأ التدريس إلى جانب مشايخه الذين ما زالوا على قيد الحياة.

ولما توفي شيخه سعد بن حمد بن عتيق عام ١٣٤٩هـ ، وتوفي قبله الشيخ حمد بن فارس عام ١٣٤٥هـ توسع في مجالس التدريس واستقل بأمرها إلى جانب أعمامه -رحمهم الله- وغيرهم من أفاضل العلماء، الذين كانوا يقومون بالتدريس على فترات متعاقبة في بعض العلوم.

ولكن ينبغي أن نؤكد أن الشيخ محمد -رحمه الله- له النصيب الأوفى في كثرة المجالس، وكثرة القاصدين له من طلبة العلم -على اختلاف مراتبهم، وتباعد درجاتهم- وكان يتميز بغزارة العلم، وعموم النفع، فقد كان يعمر أكثر نهاره بالتدريس، حيث كان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يجلس ثلاث جلسات منتظمة، فالأولى بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، والثانية بعد ارتفاع الشمس مدة تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات، والثالثة بعد صلاة العصر، وهناك جلسة رابعة لكنها ليست مستمرة وهي بعد صلاة الظهر.

وكل هذه الجلسات كانت تتم في جامع الشيخ عبدالله بن عبداللطيف المعروف الآن في (حي دخنة شمال الميدان)، ما عدا جلسة الضحى فقد كانت في أول الأمر في هذا الجامع ثم نقلها إلى بيته.

وكان -رحمه الله- ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر، ومنها (الروض المربع) و (سبل السلام) و (شرح ابن عقيل) على ألفية ابن مالك، وما يعين عليها من المراجع.

وقد استمر يزاول التدريس بنشاط لا يفتر وهمة لا تكل إحدى وأربعين سنة من عام ١٣٣٩هـ إلى عام ١٣٨٠هـ حين أسندت إليه كبار الأعمال، وتعددت مسؤولياته، وكثرت مشاغله، فترك جميع الدروس ما عدا درس الفقه، وبلوغ المرام فكان يجلس لهما بعد صلاة الفجر إلى أن حبسه المرض. وقد أثمرت هذه الهمة العالية في نشر العلم ثمرات عظيمة من أهمها تخرج طائفة كبيرة من علماء البلاد على يديه، والذين شغلوا مناصب القضاء، والتدريس، والدعوة إلى الله والإرشاد.

٣- طريقته في التدريس:

كان -رحمه الله- يعطي مجالس العلم حقها من الاحترام، والتقدير، ويحرص على إيصال الفائدة إلى قرارة قلوب الطلاب، معنياً بتثبيتها. وكان -رحمه الله- إذا هم بالجلوس للتدريس توضأ إن لم يكن على وضوء بعد صلاة، واستقبل القبلة إذا كانت الجلسة في المسجد، ويبدأ شرحه باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

ويمكن تلخيص السمات الظاهرة لطريقته في التدريس في النقاط التالية:

١- يطلب من بعض طلاب العلم أن يبدأ بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله، والترحم على المؤلف، ثم يتلو حفظاً موضوع الدرس إذا كان الكتاب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متـــناً ويحرص جداً على أن يحفظ جميع الطلاب المنتظمين المتون، ولا يرضى بنصـــف حفـــظ، ولا ينتقل الطالب من متن إلى متن أطول منه إلا بعد حفظ الأول، وفهمه، ولذا كان الطالب المجد منهم يتخرج في سبع سنوات.

٢- قبل أن يبدأ بالشرح يقرأ هو ما قرأ الطلاب.

٣- يشرع في شرح عبارات المتن بدقة ووضوح فيشرح جمله ويعلل أحكامه.

٤- يعرض بعض المسائل، ويعلق عليها، ويلحق فوائد تناسب الموضوع.

٥- إذا عـــرض لمســـألة خـــلاف، ذكر رأي المؤلف أولاً، وأدلته، ثم ذكر رأي المخـــالفين، كل على حدة، مع دليله، وكان في ذلك كله يحترم كل ذي رأي مـــن العلماء، ولا يذكره بما يسوء وكان يرجح ما يراه معتمداً في ذلك على الدليـــل، وأقوال المحققين، ولم يكن يعرض من الخلاف إلا ما كان ذا جدوى. وقـــد يصـــحح أحد القولين بدون سرد الأدلة لقصر الوقت، أو نظراً لحال الطالب.

٦- كان يلتزم بالموضوع، ولا يستطرد إلى مسائل خارجة عنه.

٧- كـــان إذا فـــرغ من الدرس تلقى أسئلة الطلاب، وأجاب عنها. وقد يثير هو بعض الإشكالات ليقدح أذهان الطلاب. فلا ينتهون من القراءة إلا وقد أشبع رغـــبات الطلاب، وأزاح الإشكالات عنهم، وأوضح المعاني، وصور المسائل، وزاد فوائد.

٨- يختبر الطلاب فيما يشرح لهم في بعض الأحيان بإلقاء الأسئلة عليهم، ويعربون متن الألفية وشاهدها.

٩- فـــيما يتعلق بالعقائد لم يكن يحرص على ذكر آراء أهل البدع والإشراك فإذا وجـــد ضرورة لذلك أو كان المؤلف ذكرها فإنه يتكلم عليها بتوسع، ويشتد في الرد عليهم دون إفراط.

١٠- وبالنسبة لقراءة المطولات، لم يكن يشرحها عبارة عبارة، وإنما كان يقف عند

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المهم منها، أو إذا ما سأله عنها أحد الحاضرين.

١١- يلزم اللغة العربية في جميع مجالسه العامة.

١٢- يلتزم الهدوء أثناء شرحه للمتون، أو تعليقه على المطولات، فلا تراه يلتفت أو يشير بيد، أو يعبث بشيء.

١٣- لم يكن يسمح بإثارة الأسئلة التافهة أو الدخول في مناقشات عقيمة.

والشيخ لا يقتصر على نوعية من الطلاب، بل كان عنده من مختلف الطبقات سناً، وعلماً، كان بعد الفجر يجلس لصغار الطلاب، ثم يأتي بعدهم المتوسطون في العمر، ثم يأتي بعدهم الكبار، ولكل طائفة من هؤلاء ما يناسبه من جهة الكتاب الذي يقرأ، ومن جهة المسائل المبحوثة، ونوعية البحث، وكيفية الدرس.

ولما تكاسل الناس عن حضور الحلقات الدراسية في العلوم الشرعية، والعربية في المساجد عند العلماء أشار على الدولة بإنشاء معاهد دينية، مهمتها تخريج علماء في الشريعة الإسلامية، والعلوم العربية، حيث عرض عام ١٣٦٩هـ على الملك عبدالعزيز فكرة إنشاء معهد علمي بمدينة الرياض، فأمر بإنشاء هذا المعهد، وتخصيص مكافآت لطلابه، تحت إشراف سماحته، وتم افتتاح المعهد عام ١٣٧٠هـ ثم أنشأ في كل مدينة معهد لذلك، ولما كثر المتخرجون من تلك المعاهد أنشئت لهم كليتا الشريعة عام ١٣٧٣هـ واللغة العربية عام ١٣٧٤هـ وكان سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رئيساً عاماً للكليات والمعاهد، والمشرف عليها وعلى سير أعمالها الدراسية، والإدارية.

كما كان لسماحته الإشراف على بعض المؤسسات التعليمية ومنها: الجامعة الإسلامية التي أسست بالمدينة المنورة عام ١٣٨١هـ ورئاسة تعليم البنات والمعهد العالي للقضاء.

٤- الإمامة والخطابة:

بعد وفاة عمه الشيخ عبدالله تولى سماحة الشيخ محمد الإمامة في مسجد عمه في حي دخنة للصلوات الخمس كما تولى الخطابة في الجامع الكبير. واستمر في إمامة المسجد

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتدريس فيه من عام ١٣٣٩هـ إلى قبيل وفاته. كما كان يخطب للعيدين بمسجد العيد.

٥- التأليف:

إن ما كتبه من المؤلفات ليس على قدر علمه، بل هي أقل من مستواه العلمي،فهي رسائل، وردود لا تكون مقياساً لما يحمله من علم، ولا ما بذله من نشاط في سبيل نشره، فإنه من مشاهير العلماء ذوي الاطلاع الواسع. وسبب ذلك أنه لم تكن له فرصة يتفرغ فيها للتأليف، فقد كان انشغاله بالأعمال الموكولة إليه لا تدع له فرصة يفرغ فيها ذهنه، ويرجع للمراجع فيكتب، وينشر، ولم يكن ممن يكتب كل ما عن له، بل كان طويل التأمل شديد المحاسبة لنفسه، ومسئوليته تحتم عليه ألا يكتب إلا بعد تحرٍ طويل، لأن الكلمة منه تعد حجة يتعلق بها العامة، والخاصة ومع ذلك فإن حياته لم تخل من كثير من الرسائل، والفتاوى التي كتبها في مناسبات مختلفة. فمن مؤلفاته مجموعة حديث في الأحكام رتبها على أبواب الفقه لا تزال مخطوطة.

ومن مؤلفاته المطبوعة:

١- الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم، طبع بمطبعة الحكومة في مكة سنة ١٣٦٩هـ.

٢- إنكار الاحتفال بالمولد النبوي، نشرته دار الإفتاء عام ١٣٨٤هـ.

٣- الجواب المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم، طبع بدار الثقافة بمكة.

٤- الروضة الندية في الرد على من أجاز المعاملات الربوية، نشرته دار الإفتاء عام ١٣٨٤هـ.

٥- نصيحة الإخوان بما في نقض المباني لابن حمدان من الخبط والخلط والجهل والبهتان، طبعت في دار الثقافة بمكة.

٦- تحذير الناسك مما أحدثه ابن محمود في المناسك، طبع في مطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٧٦هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧- حكم المغالاة في مهور النساء، نشرته دار الإفتاء عام ١٣٨٤هـ.

٨- تنظيم الأعمال الإدارية في الدوائر الشرعية، طبع الطبعة الرابعة في مطبعة الحكومة بمكة عام ١٣٨٧هـ.

٩- جمع الشيخ محمد بن عبدالرحمن القاسم فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم وطبعتها الحكومة في مطبعتها بمكة في ثلاثة عشر مجلداً من عام ١٣٩٥ - ١٣٩٩هـ.

ولا شك أن هذه الفتاوى لها قيمة كبيرة لأنها عالجت بالنصوص الشرعية، وكلام العلماء ما استجد من مشاكل الحياة، وما طرأ من مستحدثات الأمور.

٦- الوعظ والإرشاد:

للشيخ نشاط في الإرشاد والنصح منقطع النظير، في ذلك الوقت وذلك من خلال الكلمات التي يلقيها في مسجده، أو في المنتديات العامة، كما كان الشيخ يرسل رسائل إرشادية إلى أئمة المساجد لتقرأ في المساجد، وخصوصاً في المناسبات.

٧- رئاسة القضاة:

لما رأى الملك عبدالعزيز في الشيخ محمد الكفاءة، والسداد جعله مستشاراً شرعياً له في تولية القضاة وإبداء الرأي في الأمور الشرعية. ولقد كان -رحمه الله- يقوم بتمييز الأحكام، التي تحتاج إلى نظر وينظر فيما أحيل إليه من ولاة الأمور.

ثم كان رئيس قضاة نجد في أعمالهم القضائية، وغيرها من الشؤون الاجتماعية ولما شكلت المحاكم الشرعية في نجد، والمنطقة الشرقية، وأسست الدوائر الشرعية عام ١٣٧٦هـ كان الشيخ محمد رئيسها الذي تولى الإشراف عليها، وعلى أعمالها، وبعد وفاة سماحة رئيس القضاة في الحجاز الشيخ عبدالله بن حسن عام ١٣٧٨هـ وحدت المحاكم في المملكة، صار الشيخ محمد رئيس القضاة العام في المملكة العربية السعودية، فنظم المحاكم، وعين القضاة، وأشرف على أعمالهم. ولما شكل مجلس القضاء الأعلى،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان سماحة الشيخ محمد رئيساً له.

ومن خلال هذا العمل قام سماحة الشيخ بالدعوة إلى الله من خلال الحكم بالشريعة وتذكير القضاة بين حين وآخر بواجب الدعوة، فلقد أرسل إلى القضاة كتاباً جاء فيه: "إن العلم يقضي على صاحبه القيام بواجب البيان، والمناصحة، والتذكير، والإرشاد قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ}(1) فالواجب علينا وعليكم المذاكرة في ذلك، وحث الناس على التمسك بهذا الدين،وتعليم جاهلهم، وتنبيه غافلهم، وعليك بصفتك مسؤولاً عما ولاّك الله عليه أن تعيّن وقتاً من أوقاتك تجلس فيه في السوق يقرأ عليك..".

وفي رسالة إلى أحد القضاة قال: "لا يخفاكم فضل الدعوة إلى الله، وأنها مقام رسل الله، وخلفائهم، وأنتم أهل كلمة، ومقام في بلادكم، والواجب عليكم أن تقوموا بما أوجب الله من النصيحة، والإرشاد وتقفوا حياتكم على الدعوة إلى توحيد الله الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.. ونعتقد أن هذا الأمر على بالكم، ولكن أحببنا مذاكرتكم، ولفت نظركم إلى هذا المهم العظيم...".

٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الشيخ محمد بن إبراهيم حصن منيع بذل في حياته جهداً واسعاً بواسطة نفوذه وصراحته وأمره ونهيه وتحسينه للحسن، وتقبيحه للقبيح.

وكان -رحمه الله- على حظ وافر من الشجاعة، وقوة الشكيمة، لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يتردد في إعلان الحق أياً كان المخاطب به، ودافعه في ذلك مخافة الله، وحرصه على أن يخلص ذمته مما علق عليه، فمكانته، ومسئوليته تحتم عليه نبذ التخاذل، وكان يكره المتملقين.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٨٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومـــن هنا نجد العلماء من هذه البلاد، ومن غيرها يقومون بالكتابة إليه بما رأوا من منكرات، لما يعلمون عن سماحته من غيرة دينية تجعله يقوم بمنع المنكرات.

٩- مناصحة ولاة الأمور:

فـــلقد أحب سماحة الشيخ محمد ولاة هذه البلاد فكان يناصح لهم ويدعو لهم ويبث محبتهم في القلوب، ويرسل إليهم بالإرشادات التي يراها تحقق لهم المصالح الدينية.

١٠- تعيين الأئمة:

فقـــد كـــان من الأعمال المناطة به -رحمه الله- الإشراف على ترشيح الأئمة والمؤذنين حيث جعل سماحة الشيخ هذا العمل منطلقاً إلى الدعوة إلى الله، فقد كتب إلى الأئمة ما يأتي:

"يتعين على إمام كل مسجد أن يقوم بعد صلاة الفجر كل يوم بتعليم ثلاثة أشخاص من جماعة مسجده، أو أكثر حسب الاستطاعة أصول الدين، كمختصر ثلاثة الأصول، وشروط الصلاة، وأن يتعاهد جماعة مسجده بالنصيحة، والتذكير والدروس، ويعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم فيه عن أمور دينهم، ويعلمهم ما يخفى عليهم فيها، ومن طلب مهلة لتذكرها، وتحفظها، فيمهل ومن امتنع عن ذلك يلزم به من قبل الإمام والمؤذن والهيئة، وإن لم يمتثل يرفع باسمه إلى القضاة ليقوموا حوله بما يلزم، براءة للذمة، ونصحاً للأمة".

كمـــا أرسل خطاباً إلى القضاة لتفقد الأئمة في ذلك فقال فيه: "وتعمموا على جميع أئمـــة المســـاجد بملاحظة ما ذكر، وتخول الناس بالموعظة في كل مناسبة، ولا سيما في أوقـــات الفـــراغ، كمـــا ينبغي لكل إمام مسجد تعاهد إلقاء درس خفيف بعد صلاة العصـــر، وقـــبل صلاة العشاء يقرأ فيه ما تيسر من كتب السنة، ويشرح لهم ما قرأه باختصار، ويجعل اهتمامه في تبيان أمور وأحكام العبادات، وما لا يسع المسلم جهله، وقـــد عملنا مثل هذا فيمن حولنا، فعليكم العمل به فيمن لديكم، والتعميم على جميع المســـاجد في القـــرى، وملاحظة تطبيقه، ومعرفة من يتخلف عنه، وإخبارنا بنتيجة ما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

تجرونه، وينبغي قراءة هذا الكتاب على الناس في الجوامع بعد صلاة الجمعة، رجاء أن يعـــم نفعه، ويتم امتثال موجبه. والله يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

١١- بعث الدعاة:

فقـــد كان من الأعمال التي يزاولها سماحته، تعيين الوعاظ والمرشدين، فقد حرص -رحمـــه الله- على إيجاد وظائف للدعاة، وتكثيرها لحاجة الأمة إلى الدعاة الذين يرفعون ظلمة الجهل، وكان ولاة الأمر يعرفون أهمية هذا الأمر، ومن هنا فقد استجابوا لرغبته في ذلك.

وقـــد كان يكتب إلى أمراء المناطق، وقضاتها بمساعدة الدعاة في أعمالهم، كما كان يســـعى إلى منع من كان في عقيدته بعض الانحراف من الوعظ، لئلا يكون ذلك سبيلاً إلى نشر الآراء المنحرفة.

١٢- مراقبة المطبوعات:

فقد أوصى سماحته في عام ١٣٧١هـ ولي العهد بجعل هيئة لمراقبة الكتب، والتفتيش عـــلى مكاتب البيع الموجودة في الرياض، ويعهد إلى جميع المراكز ألا يمر بهم شيء من الكتب، حتى يأخذوا أسماءها، ويرسلوه إلى تلك الهيئة التي في الرياض.

١٣- طباعة الكتب وتوزيعها:

حـــرص -رحمـــه الله- على طباعة الكتب النافعة، وتوزيعها مجاناً لنشر العلم، وتيسير سبله، فقد كتب في عام ١٣٧٨هـ لولي العهد حينذاك الملك فيصل طلباً لجعل بند مالي لطـــباعة، وشـــراء الكتب الدينية، وعلل ذلك بقوله: "وهذا كما أنه حسنة، وخطوة كبرى في سبيل تسهيل العلم، ونشره، فهو مظهر جميل، وعناية بالكتب السلفية، التي يهم شأنها كل عالم سلفي في أقطار الدنيا، مع أنه دائماً ما يهدى للحكومة كتب دينية، وفي حال قبولها تؤدى قيمتها على ذلك البند".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقـــد قامت دار الإفتاء بشراء كميات عديدة من كتب مختلفة، مفيدة، وزعتها على طلبة العلم في الداخل والخارج.

١٤- جهوده الدعوية في مجال الصحافة:

وهذه الجهود منقسمة إلى أربعة أقسام:

الأول: المقالات التي تنشر في الصحف.

الـــثاني: متابعة الصحف والتعليق على ما يوجد فيها من مخالفات لأحكام الإسلام. ومن أمثلة ذلك أنه نشر في مجلة رابطة العالم الإسلامي في العدد الأول الصادر في ربيع الأول عام ١٣٨٣هـ مقال عن المولد النبوي كما نشرت جريدة الندوة في عددها ذي الـــرقم ١١١١ الصادر في ١٣٨٣/٤/٧هـ مقالاً يستحسن الاحتفال بالمولد النبوي، فقـــام بالتعليق على المقالين، وأرسل التعليقين إلى المجلتين، فنشرت كل مجلة ما يخصها. كمـــا أن مجـــلة العـــربي نشرت مقالاً في عددها رقم ٥٤ الصادر في ذي الحجة عام ١٣٨٢هـ بحثاً عن رسم المصحف استحسنت فيه تغييره عما عليه المصاحف العثمانية، وقد رد عليهم الشيخ محمد.

الـــثالث: إرسال الفتاوى إلى الصحف لنشرها، فقد كانت المجلات تكاتب سماحته، وتستفتيه، وتنشر فتاويه.

الرابع: إنشاء مؤسسة صحفية باسم مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، التي تصدر عنها مجلة الدعوة.

فقـــد حـــدث الملك فيصل عن إنشاء هذه المؤسسة لما كان ولياً للعهد، وأرسل إليه كـــتاباً جاء فيه: "عطفاً على حديثي مع مقام سموكم حول عزمنا على إنشاء مؤسسة صـــحفية، تقـــوم بـــالدعوة إلى الله، وتوجيه الناس إلى الخير بأسلوب حكيم مناسب، ويصـــدر عـــنها صحيفة، ويحتمل أن يصدر عنها مجلة، أو مجلات، أو نشرات حسب مقتضيات الحاجة، وإنا إذ نرفع ذلك لمقام سموكم نرجو ما يأتي:

١ – التأييد كتابياً لموافقتكم على ذلك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- العطف الكامل على هذا المشروع الخيري، ومساهمة سموكم الكريم فيه من مالكم، وإصدار أوامركم الكريمة بمساهمة الحكومة فيه، وتبني سموكم ذلك علماً بأن هدف المشروع هو الدعوة إلى الله: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}(١)، وأنتم مشاعل الدعوة وأنصارها ولا قوام لذلك إلا بالله، ثم بكم وتأييدكم".

ولقد دعا المواطنين إلى المساهمة في هذه الصحيفة، وكان يشكر كل من ساهم فيها.

وكان يغتنم لقاءه بالعلماء ليدعوهم إلى الكتابة في هذه الصحيفة، فقال في أحد اجتماعاته بالعلماء: "ولما كان وجود أصحاب السماحة، والفضيلة أعضاء المجلس التأسيسي بمكة، فرصة نادرة بالنسبة للدعوة الإسلامية أحببت أن أخبرهم عن هذه المؤسسة، وأهدافها راجياً منهم مساعدتها، بإرسال المقالات النافعة، والآراء السديدة نحو هذه المؤسسة.

ويلخص الشيخ محمد هدف المؤسسة الصحفية المذكورة بقوله: "نظراً لحالة المسلمين الحاضرة، وحاجة الأمة إلى الدعوة الإسلامية، فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شراك المبادئ الهدامة، والأفكار الضالة المسموعة، ولتبين للناس محاسن الإسلام، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان، ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبير في العصر الحاضر، فقد تقرر بأن يصدر عن هذه المؤسسة صحيفة يومية تصدر أسبوعياً مؤقتاً ومجلة شهرية.

---

(١) سورة فصلت آية ٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٥- الكلمات الإذاعية:

فقد كان الشيخ يلقي بعض النصائح والتوجيهات والمواعظ، والفوائد عبر الإذاعة، كما كانت خطبة الجمعة التي يلقيها الشيخ محمد بن إبراهيم في الجامع الكبير بالرياض تنقل حية على الهواء بواسطة الإذاعة السعودية.

١٦- جهوده الدعوية المتعلقة بالخارج:

لقد بذل سماحة الشيخ محمد عدة جهود على أصعدة مختلفة، من أجل بث الدعوة الإسلامية خارج المملكة العربية السعودية ومن هذه الجهود:

(أ) المساهمة العملية عند إنشاء رابطة العالم الإسلامي ورئاسة المجلس التأسيسي فيها، وذلك أن المملكة العربية السعودية دعت إلى التضامن الإسلامي، ولما كان لدعوة التضامن الإسلامي صدى عند المسلمين لفت أنظار الأمة إلى المملكة العربية السعودية مهبط الوحي ومبعث نور الهداية، فاقتضت مصلحة الدعوة إنشاء رابطة العالم الإسلامي، فأنشئت عام ١٣٧٩هـ فكان سماحته رئيساً للمجلس التأسيسي فيها وهو المرجع العام لها.

ومن كلمة سماحته حين افتتاح الرابطة: "إن الدعوة إلى الله وبيان ما بعث الله به أنبياءه ورسله عليهم السلام للناس هي سبيل رسول الله ﷺ وسبيل أتباعه.. وهو واجب على كل مسلم، وهو على أهل العلم أوجب، وفي حقهم أوكد، والمسؤولية تقع عليهم أكبر، فلديهم طب القلوب، وعلاجها، والناس في هذه الأزمنة بحاجة إلى الدعوة أكثر من حاجتهم لها في أي وقت مضى، حيث كثرت دواعي الشر، وتفشت الإباحية والانحلال الخلقي، كما كثرت البدع، والخرافات، وأخذ دعاتها أزمة التوجيه فأفسدوا ما بقي مع المسلمين من دينهم، أو كادوا يفسدونها، والتقى أعداء الإسلام على صعيد واحد هو محاربة الإسلام والصد عنه، ولما رأى المخلصون هذه الحالة ساءهم يوم الإسلام الحاضر، وأشفقوا من غده المظلم ففكروا في إقامة مؤتمر إسلامي، فلم يكن بد من أن يتفق الرأي على أن هذا لا يكون إلا بمكة المكرمة، حيث أنها منبع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الهـدى والـنور، وفيهـا بيت الله العتيق قبلة المسلمين.. وفيها إقامة خامس أركان الإسـلام، وتم عقـد ذلك المؤتمر في موسم حج عام ١٣٨١هـ وحضره جمع كبير من عـلماء المسلمين، وأعيانهم.. وقد بحثت في هذا المؤتمر المشاكل الإسلامية.. وقد انبثق عن هذا المؤتمر رابطة العالم الإسلامي.." "حديثي إليكم الساعة عن هدف هذه الرابطة، فأقول: إن هدفها هو التذاكر وعرض المشاكل التي تعترض تبليغ الدعوة إلى الإسلام، ثم العمل على إيجاد الحلول العملية تجاه ذلك، والخروج بنتيجة تضمن -بإذن الله- أداء فريضـة الله علينـا في تبـليغ هذه الدعوة، وشرح مبادئها، ودحض الشبهات عنها، ومقاومـة المؤامرات الخطيرة والمبادئ الهدامة التي يدبرها أعداء هذا الدين بقصد فتنة المسلمين، وصدهم عن دينهم، وتفريق صفوفهم.

وهذه الدسائس التي دسها أعداء الدين على الإسلام لقصد القضاء عليه هي أهم ما يجـب أن نـبحث في اجتماعاتنا هذه، وهي أهم ما يجب أن نصرف عنايتنا في محاربته ودحضـه، ونـتكاتف، ونصير طائفة واحدة في نصرة الحق، وإقامة العدل، ومجاهدة الباطل، والقضاء عليه مستمدين ذلك من القرآن الكريم.

(ب) الجامعـة الإسلامية بالمدينة المنورة: إذ أن الدعوة الإسلامية الصحيحة، ونداء المسلمين إلى الرجوع إلى دينهم الصحيح من خلال الكتاب والسنة، هو جل ما تعنى به حكومتـنا الرشـيدة -أيدها الله-، فكانت تبذل في هذا المضمار كل ما من شأنه تبصير المسلمين، وغير المسلمين بالدين الإسلامي، ومن هذه الجهود إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينـة المنورة فأنشأتها، وجعلت الأكثرية فيها للطلاب غير السعوديين، فكان سماحة الشـيخ محمـد هو المشرف على تأسيسها، والرئيس العام لها، وكان تأسيس الجامعة الإسلامية عام ١٣٨١هـ.

(ج) الدعـوة الإسـلامية في إفريقيا: كتب سماحته خطاباً إلى الملك فيصل يحثه على العناية بالدعوة في إفريقيا جاء فيه: "ولا يخفاكم -سلمك الله- أن قارة إفريقيا تضم عدداً كـبيراً من المنتسبين للإسلام، الذين يحتاجون إلى تثبيت العقيدة الإسلامية في نفوسهم،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفيهـــا عدد كثير من غير المسلمين، ممن يؤمل دخولهم في الإسلام، وقد بذلت الدول الكافـــرة جهـــوداً كبيرة لإدخال عموم الإفريقيين في دياناتها المختلفة، ولم تنجح هذه الدول -ولله الحمد-، ويجب على المسلمين، وخاصةً هذه المملكة التي هي مهبط الوحي، ومـــنها شـــع نور الرسالة المحمدية، أن تقوم بهذا الواجب، وتبذل فيه ما يستحقه من مجهـــودات صـــادقة، ولا سيما الإفريقيون عندهم استعداد للدخول في الإسلام متى وجدوا من يدعوهم، ويرشدهم إليه بإخلاص وصدق عزيمة، وفق الله جلالتكم لما فيه رفع راية الدين، وجعلكم من الدعاة إليه..".

فـــأوكل إلى سماحته الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في إفريقيا، ورئاسة المعهد الإسلامي في نيجريا.

١٧- جهوده في المكتبات:

كان من الأعمال المناطة بسماحته رئاسة المكتبة السعودية التي أنشئت بجوار مسجد سماحتـــه بحي دخنة عام ١٣٧٠هـ ، وجمع فيها حوالي خمسة عشر ألف كتاب مطبوع و١٧ مخطوطاً.

وقد خلف الشيخ مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات والمطبوعات.

لقـــد أســـهم في تـــأثير هـــذه الجهود التي قام بها سماحة الشيخ محمد، على الناس، وانـــتفاعهم بها ما يتمتع به الشيخ من مزايا خاصةً، إذ كان من صغره جاداً في طلب العـــلم، حفظ القرآن وعمره إحدى عشرة سنة، وكف بصره وهو في الرابعة عشرة، فصـــبر واحتسب، ولم يثنه عن عزمه في طلب العلم، بل زاد إقباله عليه، وصرف جميع أوقاتـــه في تحصـــيله، حتى أدرك علماً جماً في زمن قصير، مما لا يدركه الكبار في زمن طويل.

أقبل على العلم إقبالاً منقطع النظير، حتى نبغ في فنون عديدة، وكان لا يحس بالملل في المطالعـــة والقراءة، ولا يسأم وكان مفرط الذكاء، قوي الحفظ سريع الفهم، حتى كان مشايخه معجبين بفرط ذكائه ونبله.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان -رحمه الله- من أكثر الناس استحضاراً لعظمة الله، فكثيراً ما يسمع يلهج بذكر الله، والاستغفار، وتغرورق عيناه بالدموع حينما يكون في موقف مناجاة الله، أو يسمع بعض ما يحرك القلوب، لقد كان يحيي ليله بالصلاة التي كان يواظب عليها في إقامته وسفره.

ومما يتميز به الإخلاص في العمل، فلم يكن طالب شهرة، ولا باحثاً عن سمعة، بل كان عمله كله لله يبتغي ما عنده، ويجتهد في تحري الحق، ولا يعتريه ضعف، ولا يأخذه طمع، ولم يعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها، وكان يكره بشدة المدح، والثناء عليه، فما كان يرضى من أحد أن يثني عليه، أو يبالغ في مدحه سواء كان ذلك مشافهةً أم كتابةً،وكان قلبه طاهراً، لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد نال منه، بل كان ديدنه الصفح، والتجاوز، وكان يتنزه عن الغيبة، ولا يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين، أو تنقصهم، بل كان يقف دون ذلك، ويزجر من يحاوله.

وكان عفيفاً يتورع عن أخذ ما ليس له، أو يرى فيه شبهة، فلم يعرف أنه اشتغل ببيع أو شراء، بل كان مقتصراً على ما يتقاضاه مقابل عمله، وكان يشغل عدة أعمال، ولم يكن يأخذ عليها إلا راتب وظيفة واحدة، ولم يكن يأخذ انتداباً مقابل انتقاله إلى مدينة الطائف، ولا يعرف أنه طلب شيئاً يخصه، وكان يحرص على إكرام العلماء والقضاة. أ.هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الثاني عشر

تحقيق – خالد العثمان

غياب المثقفين والدعاة عن برامج الفضائيات[1]

السعوديون والفضائيات.. لم يسطع أحد؟!

مـــن القضـــايا المسلم بها في العصر الحاضر القول بقوة "الوسائل الإعلامية" وقدرتها على تشكيل الآراء ونقل الثقافات وتكوين الاتجاهات نحو قضية معينة.

ولما كانت الوسائل الإعلامية بهذه الأهمية رأينا أن ننظر إلى واقع بعض هذه الوسائل ذات الـــتأثير العميـــق الفـــريد التي برزت على السطح في الفترة الأخيرة من حيث مشـــاركة المفكرين والعلماء والدعاة في هذه القنوات وطبيعة هذه المشاركة وفاعليتها وقـــد أجمـــع ضيوفنا على أن هناك ضعفاً في الطرح وقلة في المشاركة من قبل دعاتنا ومشايخنا، فيا ترى ما آلية الطرح المطلوب تفعيلها لتصحيح رسالتنا الإعلامية الدعوية عبر هذا الفضائيات؟

الفضائيات كالذباب

أما الدكتور محمد بن ناصر الشثري فقد شدد من جانبه على أهمية المشاركة الفاعلة في هذه المنابر الإعلامية لسد الثغرة الموجودة فيها ولاستغلال قوة تأثيرها حيث يقول: لقـــد حدث في العالم خلال هذه السنوات الأخيرة أمور لم تكن في الحسبان وأشياء لم يكن يتصورها العقل، ومن هذه الاختراعات القنوات الفضائية التي جعلت العالم أشبه مـــا يكون بالقرية الصغيرة، حيث أصبح أهل المشرق يسمعون وينظرون إلى ما يحدث بالغرب في التو واللحظة. إلا أن هذه القنوات الفضائية قد استغلت أبشع استغلال من قبل دعاة الشر والفتنة فنشروا من خلالها الأفكار الهدامة والمبادئ الضالة، ودعوا إلى الانحـــلال الأخلاقي والفساد الاجتماعي بشتى الوسائل ومختلف الطرق بتزيين الجريمة

---

(١) نشر في مجلة الدعوة العدد ١٨٢٣ / ١٢ شوال لعام ١٤٢٢هـ – ٢٧ ديسمبر ٢٠٠١م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتغـــليف المنكر وتبطين السوء، وجعل الأمور المنكرة في نظر شبابنا مستساغة مما أدى حدوث فتنة عظيمة، وإماتة الغيرة في قلوب المسلمين.

ولـــو أن هـــذه القنوات التي يشاهدها الملايين من البشر استفيد منها في مجال الخير لكـــانت نعم الوسيلة وسبباً لسعادة البشرية ما يجني منها ثمرات العلم، وينابيع الخير، وقطـــوف الصـــلاح، يـــنهل منها العلماء ويفد إليها الطلاب، ويستقي عذب مائها المشاهدون، فلا ينبغي إعراض الأخيار عن هذه المنابر وفتح المجال الواسع لدعاة الفساد ليعرضوا أفكارهم الضالة ومبادئهم الهدامة على مرأى ومسمع من الجميع ولا منكر. فيجب محاصرتهم ليعيشوا دوماً في السراديب ويموتوا في الظلمة.

إلى جـــانب أن المسلم مؤاخذ بسكوته عن ذلك، فالواجب على علمائنا الفضلاء أن ينـــبروا في مجابهـــة جحافل الشر التي زحفت ورفعت راياتها من النساء والرجال، وقد اســـتولت عـــلى عقـــول الكثير من أبناء المسلمين ونسائهم وتركتهم ما بين صريع للشـــهوات، وموشـــك للوقوع في الشبهات أو جريح في دينه أو أسير لحبائلهم يمجد حـــال أعـــداء الإســـلام، ويصم المسلمين بالنقص والتخلف، وهذا نوع من موالاة الكافرين والانحياز إليهم.

فلابـــد مـــن المبادرة لسد هذا الثغر المهم الذي أصبح نقطة للارتكاز في حياة أبنائنا وبناتنا اليوم، ولا ينبغي لأهل الإيمان التولي يوم الزحف بل يجب الجهاد بالقلم واللسان والحذر من كتمان العلم كما قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ }[1] كما أحب التنبيه إلى أن هـــذه القنوات ليست شراً محضاً بل هي سلاح ذو حدين وأشبه ما تكون بالذباب جناح فيه داء وجناح فيه دواء، فلابد من استعمال الدواء لعلاج هذا الداء الخطير من

(١) سورة البقرة آية ١٥٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قبل العقلاء وأهل الصلاح. وإني أعجب من إحجام أهل الحق مع ما معهم من الحق وإقدام أهل الباطل مع هشاشة أفكارهم وزيف معتقداتهم فهذا نقص كبير وتقصير عظيم ولو أن رجال الإعلام وملاك القنوات والدول الإسلامية استفادوا من هذه القنوات في مجال نشر الإسلام والعلم لتغير حال البشرية إلى الأفضل، فدول أوروبا الشرقية والدول المنسلخة من الاتحاد السوفيتي وشعوب الصين مثلاً، تلك المتعطشة إلى ما يملأ حياتهم لو أذيعت لهم برامج إسلامية بلغتهم لوجدت إقبالاً على الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام: (يأتي زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر)[1] فرغم هذه الفتن لابد للمسلم من الصمود والمواجهة، واستشعار الهدف السامي، واحتساب الأجر العظيم في نشر العلم والخير في هذه القنوات، وسيهون عليه ما يواجه في سبيل ذلك، فهل من مشمر وباغ للخير ومساهم لتحويل هذه القنوات من أوكار لاحتضان الأفكار الهدامة إلى منارات علم وجامعات هدى.

إن هذه القنوات الفضائية قد ملئت بالكثير من الشرور، ومشاركة العلماء فيها قد تكون مفيدة وتأتي بالخير والصلاح، وتكون ذات تأثير على كثير من المتابعين لهذه القنوات كما أن هذه المشاركة والاتصال بالمسؤولين عن هذه القنوات قد تؤثر في توجيه هذه القنوات والقائمين عليها لتكون أدوات خير وإرشاد.

ولا شك أن كثيراً من العلماء لديهم رغبة في المشاركة وإفادة المسلمين، ولكن ينقص أغلب هذه القنوات وسيلة تنسيق مع العلماء، لأن العلماء لابد أن يحترموا وتعرف منزلتهم، وكثير من هذه القنوات تكون تحت رحمة أهواء ورغبات القائمين عليها في اختيار العلماء والمفتين بغض النظر عن الأصلح والأفضل، وهذا يؤثر سلباً في سمعة هذه القناة وفي المشاهدين وفي المجتمعات الإسلامية عامةً بنشر أفكار وآراء خاطئة، وتنسب إلى الإسلام كذباً وزوراً، ولكن ينبغي لمن يشاهد هذه القنوات من المسلمين

---

(١) رواه الترمذي الفتن / ٧٣ – رواه أحمد ٢، ٣٩٠-٣٩١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن لا يستمعوا إلا لمن يوثق بدينه وعقله فليس كل ناعق يتبع، فتجد بعض من يستضيفونهم على أنهم علماء ومفتون إنما هم في الحقيقة مخالفون للإسلام في كثير من أمورهم، فتجد بعضهم لديه مخالفات عقدية مثل من يفتي بجواز الأعمال الشركية حول القبور، فلا يجوز أن يقبل من مثل هؤلاء فتيا أو معلومة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الثالث عشر

الوهابية والإرهاب[1]

أثـــارت الأوساط الغربية عامةً، والولايات المتحدة الأمريكية خاصةً هذه الأيام حملة على المملكة، أعقبت أحداث الحادي عشر من ديسمبر ٢٠٠١م. وتأخذ هذه الحملة شكلاً من أشكال الهجوم الشرس على الإسلام والمسلمين بدايةً لأهداف معروفة لدينا جميعـــاً، وسرعان ما تحولت هذه الحملة وغيّرت دفتها تجاه الدول الإسلامية المستقرة، والتي تحكم بكتاب الله وسنة رسوله، ومنها المملكة.

إن أنصـــار هذه الحملة قد ادعوا -زوراً وبهتاناً- أن أسباب ما يطلقون عليه على حد زعمهم الإرهاب، ترجع جذوره إلى ما أطلق عليه جهالةً وتجاهلاً بأنه "الوهابية".

بـــادئ ذي بـــدء، وقبل أن نرد على مزاعم هؤلاء الحاقدين على الإسلام، نرى أن إطـــلاق هذا الاسم على الدعوة السلفية الخالصة لوجه الله، هو خطأ بيّن، فقد وصم الإســـلام النقي بمسمى (الوهابية) تحرشاً بهذه الدعوة دون غيرها من المذاهب الأخرى المحســـوبة عـــلى الإسلام كالحبشية والصوفية والتيجانية والقاديانية وغيرها من الفرق الضالة المريبة.

إن سبب الهجوم على هذه الدعوة يرجع إلى أن الصهاينة أكثر ما يخيفهم هو الإسلام الصـــحيح الـــذي يسمونه بالوهابية لتنفير المسلمين منه، وذلك لاعتقادهم أنه الخطر الحقيقـــي على الحركة الصهيونية، لو رجعنا إلى الواقع الذي نعيشه الآن، لوجدنا أن تســـميتهم الوهابية ونسبهم الإرهاب لهذه الدعوة مخالف للواقع للأسباب والدلالات التالية:

---

(١) نشر في مجلة الدعوة عدد ١٨٧٩ في ٥ ذي الحجة ١٤٢٣هـ - ٦ فبراير ٢٠٠٣م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١ – أن مـــا يعرف عن هذه الدعوة السلفية، هو حرصها التام على طاعة ولي الأمر وعـــدم عصيانه فيما فيه مصلحة البلاد والعباد، واستنادهم التام للأدلة الشرعية التي تؤكد ذلك.

٢ – أن تسمية الدعوة السلفية بالوهابية مسمى لا نعرفه، لأن في ذلك تشبهاً بأعداء الإســـلام، كالماوية واللينينية الشيوعية، وإلا أطلق على الإسلام المحمدية مثلاً، ولكن دعوتـــنا الســـلفية قد نادى بها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- بمؤازرة وتـــأييد مـــن الأمير محمد بن سعود -رحمه الله- وجزاهما الله عنا كل خير وحمل الأمانة بعدهما.

{مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ }[1]، وبمباركة حكامنا الذين رأوا في مـــبادئ هـــذه الدعوة الخالصة لوجه الله، أساساً للحكم، وإقراراً للشورى - رعاهم الله-.

لو نظر هؤلاء الحاقدون إلى أوضاع بلادنا قبل تطبيق أحكام الإسلام فيها التي يطبقها (الوهابية) -على حد زعمهم- لوجدنا الفرق واضحاً والتاريخ دليل:

أ) لم تكن بلادنا قبل عهد الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -طيب الله ثراه- من الناحية الدينية إلا صفحة في كتاب الأمة الإسلامية أصابها ما أصاب الأمة من ضعف واضح ووهن في العقيدة فسرنا في مؤخرة ركب العالم نعيش على هامشه، فلما جاءت الدعوة فاتبعت السلف الصالح في مذهبه وصلحت العقيدة، فأصبح منهج الدولة هو هذه العقيدة السليمة اقتداءً بالصفوة الأولى من السلف الصالح.

ب) إن الحالـــة العـــلمية في بلادنا قبل هذه الدعوة لم تكن أحسن حالاً من الناحية الديـــنية، فقـــل طلاب العلم وأحجم البعض عن الخروج إلى طلب العلم لعدم الأمن والاســـتقرار وكثرة قطاع لطرق، لكن تشجيع علماء الدعوة لطلاب العلم، قد فتح

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب أمامهم، فرحلوا في طلبه على أيدي أئمة الدعوة وتلاميذهم الذين قامت عليهم دعائم الدولة السعودية في سابق عهدها.

ج) أما الحالة السياسية فقد كان قلب جزيرة العرب في فوضى سياسية يعمها الانقسام والتناحر والحروب فساد الاضطراب السياسي مما تسبب في انتشار الفتن وانتشار الجهل والخرافات، إلى أن تصدت الدعوة لهذا الانقسام وتم لآل سعود السيطرة على تلك المناطق فساد الأمن والاستقرار واجتثت الدولة دابر الفساد والفوضى التي عمت.

د) وعن حالة البلاد الأمنية، فقد اضطرب حبل الأمن، وازداد الخوف وعمت الفوضى والسلب والنهب والقتل، وإزهاق الأرواح، وكانت الانقسامات الإقليمية والتجزئة القبلية من الأمور الشائعة التي زعزعت الأمن قبل أن يوحد البلاد الملك عبدالعزيز -رحمه الله-.

هـ) وعن الحالة الصحية فكانت الأمراض منتشرة، والأوبئة تفتك بالناس لا علاج لها إلا بالأعشاب أو النار، ففتكت الأمراض المعدية بالناس كالكوليرا فما تأسست الدولة الفتية حتى عم الوعي الصحي وانتشرت المشافي وتعدد الدواء وحوصر الداء وتبدل المتطبب بطبيب عالم.

إن الدعوة السلفية قد ساندت الدولة، فقامت دولة الدعوة للحفاظ عليها والحماية لها، وأقامت شرع الله في البلاد، ونفذت الحدود والتعزيرات، وأمرت بالمعروف، ونهت عن المنكر، واهتمت بالشعائر عامةً والصلاة خاصةً.

من أجل ذلك عضت الدولة السعودية على هذه الدعوة بالنواجذ، فازدهرت وكان من آثار ذلك أن تبوأت هذه الدولة مكانة طيبة في نفوس المسلمين المخلصين ومحبة لدى العلماء الموجودين، كما احتضنتها الدولة السعودية الثانية وناصرتها فعادت إلى الدعوة قوتها ومكانتها ويرجع الفضل في ذلك إلى الإمام تركي بن عبدالله.

عندما قامت لآل سعود دولتهم للمرة الثالثة على يد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- جعل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سلطان الشريعة الإسلامية هو الغالب وفوق كل اعتبار دستوراً وعملاً، وأخذ على عاتقه نصرة الدعوة وإقامة دولة إسلامية تحكم شرع الله، فعادت للدعوة قوتها ومكانتها، ويواصل أبناء عبدالعزيز المسيرة على منهجه، ويأتي الملك فهد -أمد الله في عمره على الحق والخير- فيؤكد هذا المعنى فيقول: (المملكة العربية السعودية هي واحدة من دول أمة الإسلام هي منهم ولهم، نشأت أساساً لحمل لواء الدعوة إلى الله، ثم شرفها الله بخدمة بيته وحرم نبيه، وهي إذ تنفذ تلك الواجبات إنما تمثل ما أمر الله به من الدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وما كان يفعله الرسول ﷺ.

وبعد ذلك أيها الحاقدون، إننا لن نرتد عن دعوتنا التي هي أساس دولتنا، وراية عقيدتنا، وإذا كانت الدعوة السلفية هي الوهابية على حد مسماكم فأهلاً بها من دعوة، أما إذا كان هذا هو الإرهاب في نظركم فقد حدتم عن الحق، أما نحن فلن نحيد عن التوحيد، لأن ما تدعون هو تحريض على الخروج على أولي الأمر الذين جعلوا الدعوة منهاجاً، ونحن من خلفهم على الحق والتوحيد.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقال الرابع عشر

جهود الملك عبدالعزيز في نشر العقيدة الإسلامية[1]

أولاً: داخل المملكة:

إن الدعوة السلفية التي نادت بتصحيح العقيدة لم تزل تنمو وتتسع بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والإمام محمد بن سعود، حتى بلغت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري مبلغاً عظيماً على يد الإمام سعود الأول، حفيد الإمام محمد بن سعود، فقد رفرفت أعلام التوحيد على ربوع نجد كلها حتى بلغت أطراف سوريا والعراق وعمان، وأصبحت الدعوة قوة هائلة تهدد الدولة العثمانية.

ففكرت الدولة العثمانية جدياً في الخلاص منها، فذهبت تنشر الدعاية السيئة ضد هذه الدعوة السلفية في البلاد الإسلامية، وأخذوا يذيعون أن أنصار هذه الدعوة لا يحبون أهل البيت ولا يحفظون للأولياء حقاً ولا حرمة، كما وصفوا الدعوة بأنها مذهب خامس، واجتهدوا في هذه الدعاية الكاذبة وجدوا كل الجد، واستعملوا في ترويجه المنتحلين للعلم من أتباعهم، وألفت الكتب وارتفعت الأصوات على المنابر تقدح في الوهابيين، وترميهم بكبيرات الأمور فنجحوا في هذا نجاحاً بقي أثره إلى يومنا هذا.

ولم يقف الأمر عند مجرد الدعاية السيئة التي وصلت إلى حد أن جعلوا القدح في هذه الدعوة السلفية مادة تدرس، بل إنهم أرسلوا الجيوش لمحاولة ضرب هذه الدعوة وإضعافها.

بهذه القوى المتضافرة ضعف سلطان آل سعود، وضعفت دعوتهم واستولى حلفاء العثمانيين على البلاد وأعملوا السيف وأمروا بإحراق كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

---

(١) نشر في جريدة الجزيرة الثلاثاء ٤ من شعبان ١٤٢٤هـ ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٣م العدد رقم ١١٣٢٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان من نتائج هذا الاضطراب في الأحوال المحيطة بالدعوة أن عاد الناس إلى جاهليتهم الأولى، فانتشرت الخرافات والشركيات من جديد، فضلاً عن التقاليد الأعجمية التي خلفها العثمانيون والتي تنافي مضمونها توحيد الألوهية، ونشط أعداء الدعوة (فمنهم من طمس أعلام الموحدين وأراد إحياء أضدادها من أعمال الجاهلية وأفعال المشركين).

وعادت مظاهر الشرك تظهر من جديد وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام وجعله في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله وغير ذلك من الشرك الأصغر والأكبر.

فكانوا يخرجون بالمريض إلى بعض البقاع فيذبحون عندها، ويهدون إليها الحلي والحلل وخواتم المرضى، وعاد بعضهم إلى قريب من حالته الأولى بسبب ارتكاب هذه المحرمات.

ولم تكن الحجاز -في هذه الفترة- بأسعد حظاً من نجد، فالانحرافات في العقيدة والخرافات تملأ البقاع حيث التوجه إلى القبور التي بنيت عليها القباب والنذر لها.

وافترقت القلوب وشاعت البدع، (من هذه البدع بدع المقامات للمذاهب الأربعة في الحرمين، ترى الحنفي لا يقتدي بالشافعي ويجلس فيما بين الصفوف ينتظر جماعة مذهبه، ترى هذا في المسجد الحرام الذي هو أفضل مسجد).

(وقبر السيدة حواء، بمدينة جدة كان في أوائل الأربعينات من القرن الثالث تتوسطه قبة عظيمة، ومن أمام القبة وخلفها ممر طويل يدخل الناس والحجاج خاصةً للزيارة ويتولى أحد المشايخ إدخال الحجيج وتلقينهم الدعاء للزيارة ويتقاضى نقوداً نظير ذلك).

ولما حمل الملك عبدالعزيز راية الدعوة، أدرك أن هذه الشركيات قد تغلغلت جذورها في النفوس وترسخت مفاسد وأدران الوثنية فشرع يخطط لإصلاح هذه النفوس

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتطهيرها، فجعل التوحيد قضيته المنهجية الأولى.

كانت الدعوة التي نادت بالعودة للعقيدة الصافية والتي انتهجها العلماء في عهد الملك عبدالعزيز تنصب بشكل مباشر على ساكن الحضر، ومع ذلك كان ابن سعود يرى بالإشارة أن النجديين رغم أنهم بفعل العوامل السابقة قد فصلوا عن آل سعود فإنهم ما زالوا معهم في الدين والحب والعقيدة وذلك لما اكتسبه آل سعود، منذ عهودهم الأولى من مكانة دينية في قلوبهم بسبب نصرتهم للعقيدة السلفية.

كان الملك عبدالعزيز يدرك خطر البداوة على مبادئ الدعوة السلفية، وأن الجبلة التي فطرت عليها القبائل أورثتها عادات وتقاليد تتنافى مع تعاليم الدعوة.

لقد شخص الملك عبدالعزيز الداء واتضحت سياسته الحكيمة في معالجة الشركيات والخرافات التي اتسمت بها التقاليد في البادية فرأى في التوطين والاستقرار وتصحيح العقيدة الدواء الناجح، حيث لا يمكن أن تتغير هذه المعتقدات إلا بوازع من الدين وإعادتهم إلى عقيدتهم السلفية، أو بمعنى آخر إقامة معالم الدين وإزالة هذه البدع والخرافات (هدم عبدالعزيز في نفوس المسلمين من جنود الدعوة أدرانها فأقام فيها رباط الأخوة في الدين واللحمة في العقيدة بعد أن قطع فيها رباط القبلية وعنجهية الأنا الطاغية).

ومن ثم أصبحت الهجر موطناً للتحضير ومنطلقاً للتوحيد، ونجح العلماء في إعادة نور التوحيد من جديد لهذه الهجر، فأثمر هذا النجاح الوحدة بين القبائل على أساس عقيدة التوحيد، وكانت المهمة صعبة حيث كان عدد العلماء لا يكفي لمواجهة هذه المهمة.

(وتعب الملك عبد العزيز تعباً شديداً في اختيار المرشدين الذين يواجهون أهل الهجر بالعقيدة الصحيحة والسلوك الصحيح، وقام العلماء بتحرير خطاباتهم المشتركة في توجيه القوم).

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى شخصية الملك عبدالعزيز المحبة للتوحيد المتمسكة به وأثرها في القوم، بحيث تجسدت عقائدية ابن سعود في جميع إنجازاته وخاصةً بذلك

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجهود في ترسيخ العقيدة الصحيحة بين أهل البادية.

وهكذا فإن شخصية ابن سعود كانت هي التي أعطت الدفعة القوية لهذا التحول العظيم وأحاطته بمقتضيات النجاح، وهي التي جعلته يعين المرشدين لتعليم هؤلاء الرحل الزراعة إلى جانب المطوعين، لتعليم أسس العقيدة الصحيحة.

ونجح الملك عبدالعزيز بتوفيق من الله، في أن يزيل سائر مظاهر الشرك، وأسس دولته على الإخلاص لله وحده، حتى كان القوم يعتزون بأنهم "أهل التوحيد" ويرددون في معاركهم "نحن أهل التوحيد" ولم تقف همة الملك عبدالعزيز عند هذا الحد بل إنه سعى في القضاء على الأسباب المفضية إلى هذه الخرافات والشركيات.

فحينما فتحت الحكومة السعودية الحجاز ودخل الملك عبدالعزيز جدة سنة ١٣٤٤هـ ، كان من أوائل الأعمال التي قام بها هدم قبة حواء، وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان، والتي كان يتقرب بها الناس -كما يظنون- إلى الله تعالى.

ومن الأمثلة على اهتمام الملك عبدالعزيز بهدم مظاهر الشرك، هذه الرسالة التي وجهها إلى شيخ الحرم المكي في وقته الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد، وقال فيها: "إن شاء الله، على هدم القباب جميع قبة تهدم حتى تساوى بالأرض ... ولا تحتاجون توصية بذلك ... تحرصون، لا يترك شيء من القباب مرة واحدة" (١٣٤٤/٩/١٧هـ).

والرسالة -كما نرى- بالغة الدلالة على تتبع الملك عبدالعزيز لكل صور الشرك بالهدم والإزالة.

وفي سبيل القضاء على الشائعات التي ترمي أهل نجد في عقيدتهم طلب أحد علماء الحجاز من الملك عبدالعزيز أن يجمع علماء الحجاز بعلماء نجد ليتباحثوا في مسائل من الشرع، وأجابهم الملك واجتمعوا في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ. وأصدر علماء مكة بياناً جاء فيه: قد حصل الاتفاق بيننا وبين علماء نجد في مسائل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أصولية منها:

١ – أن من جعل بينه وبين الله، وسائط من خلقه يدعوهم ويرجوهم في جلب نفع أو دفع ضر فهو كافر حلال الدم والمال.

٢ – إن البناء على القبور واتخاذ السرج وإقامة الصلاة فيها بدعة محرمة في الشريعة الإسلامية.

٣ – من سأل الله بجاه أحد من خلقه فهو مبتدع مرتكب محرماً.

واتفق العلماء على نشر هذا البيان الذي من خلاله اتضحت وحدة العقيدة في أنحاء المملكة.

قال الشيخ المعصومي وهو من علماء بخارى المهاجرين إلى المملكة: لما تشرفت بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ انشرح قلبي برؤية الكعبة المشرفة -زادها الله تشريفاً وتعظيماً- ولما شهدت توحيد الجماعة في الصلوات الخمس، زادني سروراً لاضمحلال بدعة تعدد الجماعات في هذا المسجد الشريف، وكذا هدم قباب القبور التي كانت من أضر الأشياء على عقيدة المسلمين.

وهكذا وفق الله -سبحانه وتعالى- الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن لذلك الأمر العظيم، وكذا تأمين الطرق، كما -وفقه الله- لما فيه رضاه من إحياء السنة المحمدية، وقمع البدع.

يقول الملك عبدالعزيز -رحمه الله-: "إن سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص والخروج من أسر البدع والضلالات والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله ﷺ".

وقال الدكتور التركي: "لما ظهر الملك عبدالعزيز بدعوة التوحيد ودين الحق استطاع بعون الله، ثم بوسيلة الشوكة والسلطان أن يحمي حمى التوحيد من كل ما يخالفه ويزاحمه من عقائد وعادات وأعراف ومظاهر وأساليب".

فلقد كان أول ما يهتم به الملك عبدالعزيز في جميع أموره حماية جانب التوحيد والعقيدة الإسلامية من أن يخدشها ما يكدرها ولقد بذل -وكذلك أسلافه من قبله- كل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}[1].

انطلاقاً من هذا سعى الملك عبدالعزيز يدعو إلى العقيدة السلفية عالمياً عن طريق استغلال مواسم الحج في الدعوة أو إيصال العقيدة النقية إلى البلدان المختلفة عن طريق نشر الكتب وتوزيعها في البلاد المختلفة مجاناً.

فمن سعة أفق الملك عبدالعزيز أنه كان يستغل مواسم الحج في الدعوة إلى تصحيح العقيدة، فكانت له -رحمه الله- مأدبة كبرى يلتقي فيها بعلماء الدول والحجاج يدعوهم فيها إلى الله وإخلاص العبودية له، خطب -رحمه الله- في جمع غفير من ضيوف الرحمن فقال: "المسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا أخلص العبادة لله وحده، يجب أن يتدبر المسلمون معنى (لا إله إلا الله)، يجب على الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبياً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً، يجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل. أما القول المجرد فلا يفيد، ما فائدة رجل يقول: لا إله إلا الله، ولكن يشرك ما دون الله في عبادته". {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء}[2].

إن الإشراك مع عبادة الله كفر، وليس بعد الكفر ذنب، إن دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد.

ثم أضاف -رحمه الله-: "إن من أعظم الأوامر توحيد الله جل وعلا توحيداً منزهاً عن الشرك".

وخطب -رحمه الله- في الحجيج عام ١٣٥٤هـ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "إن أول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين، ومعنى الشهادة (لا إله إلا الله) أنها تفيد إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى".

---

(١) سورة الحج آية ٤١.

(٢) سورة النساء آية ٤٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يوجد إنسان غير مذنب لأن العصمة لله وحده، ولكن الذنوب على درجات منها لا يمكن معه صفح أو غفران وهو الشرك بالله، وهكذا نرى أن جهاد الملك عبدالعزيز كان مرتكزاً على تحقيق التوحيد في الأرض.

كان الملك عبدالعزيز يؤمن باستمرارية الحركة التي قادها، وعالمية رسالتها حتى وإن اضـــطر هو إلى الاكتفاء بما حققه جيله، لذلك قال لبروكلمان: "إذا وفق الله أولادي كما وفقني فسوف يتولون مقدرات مائة مليون مسلم".

أمـــا المجال الثاني الذي نشط فيه الملك عبدالعزيز في مجال تصحيح العقيدة عالمياً فهو اجتهاده في إخراج المؤلفات القيمة التي تهتم بنشر العقيدة السلفية وتطهير العقيدة من أدران الشرك لا سيما كتب الشيخ ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وكتب الشيخ محمد بـــن عبدالوهاب، ووصلت هذه الكتب إلى أيدي الناس في البلدان المختلفة ووزعت مجاناً.

فقـــرأها الـــناس وانتفعوا بها وأيقظت عندهم الفطرة الأصيلة لتوحيد الله عز وجل، وخدمت هذه الكتب العقيدة السلفية أفضل خدمة.

ومـــا لا شـــك فيه أن ما يشاهد من تطور طيب واستنارة ظاهرة في عقائد المسلمين اليوم ناشئ عن هذه الدعوة وعن المؤلفات الطيبة التي تنشر بين الحين والحين.

نفعت هذه الدعوة وأحدثت في الخارج نتائج طيبة ذات قيمة وذات معنى جليل، فقد كـــان المسلمون في كل مكان مثل النجديون قبل الدعوة يرون في الدين والعقائد آراء في منتهى الفظاعة والطرافة.

قال الملك عبدالعزيز -رحمه الله-: الإسلام عزيز علي ورهبته في قلوب أعدائه كبيرة، فواجب المسلم أن يقوم بالدعوة إلى عبادة الله خالصة.

يقول -رحمه الله-: "إن الذي يجمع شملنا ويحد بيننا هو: الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله به ورسوله".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الهوامش

١- الدرر السنية، ج٧، ص١٢٦.

٢- الدرر، ٥، ٣١٩.

٣- سورة المائدة، الآية ٤٤.

٤- سورة البقرة، الآية ٢١.

٥- سورة النساء آية ٤٨.

٦- سورة الحج آية ٤١.

٧- سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص٤٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	١
المقال الأول : نهاية الإنسان.....	٢
المقال الثاني : مـــن رجال العلم الشرعي والقضاء المعاصرين في الجزيرة العربية	٦
المقال الثالث : الشعور في بلد الأفلاج.....	١٦
المقال الرابع : من علماء نجد في القرن الثالث عشر / الشيخ صالح بن محمد بن حمد الشثري.....	٢٠
المقال الخامس : فضل الاجتهاد.....	٢٧
المقال السادس : حكم المسح على الخف والجورب إذا كان فيه خرق يسير.....	٣٢
المقال السابع : القنوت في النوازل	٣٤
المقال الثامن : أحوال الجزيرة قبيل الملك عبدالعزيز.....	٣٧
المقال التاسع : شخصيات في الذاكرة.....	٥٠
المقال العاشر : تقرير الشريعة في المملكة العربية السعودية.....	٥٨
المقال الحادي عشر : نقاط مضيئة في حياة الشيخ محمد بن إبراهيم.....	٧١
المقال الثاني عشر : غياب المثقفين والدعاة عن برامج الفضائيات.....	٨٨
المقال الثالث عشر : الوهابية والإرهاب.....	٩٢
المقال الرابع عشر : جهود الملك عبدالعزيز في نشر العقيدة الإسلامية.....	٩٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في